سكردان السلطان، تأليف ابن أبي حجلة، أحمد بن يحيى

٧٧٦هـ. كتبت في القرن الثالث عشر الهجري تقديراً.

٩٠ ق   ١٧ س   ٢٣,٥×١٧سم

٢٨٣٠ز   نسخة حسنة، خطها نسخ معتاد، بها ناقصة الأول والآخر

تاريخ مصر، دولة المماليك

Riyad University
RIYAD, SAUDI ARABIA

No. ٢٨٣٥ خ الرقم Date. .... التاريخ

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات

الرقم: ٢٨٣٥ خ ف ١/٨٦٣

العنوان: سكردان السلطان (ط)

المؤلف: احمد بن يحيى بن ابي بكر التلمساني

النسخ: الثالث عشر هـ

ناسخ:

ورقات: ٩٠ ق ١٥٫٥×٢١ سم

مسطرة: ٢٠

٢٦٣٥

شعر

فمن اجله السبع المثاني تنبت … وقد عرفت المشهد الحصي والجنادل
منابحه سبع فلله درها … فكم رضعت البانهن الاراصل
واولاده سبع كما صح عنهم … وفي ثامن خلف حكته الافاضل
وحراسه سبع اناجن ليلة … حموه ولوان الظلام حجافل
وضاهاه سبع في محاسن وجهه … فاوجههم مثل البدور كوامل
ومدحي له في عام سبع وهذه … بيوت سبع في الطويل طوايل
علوت بها قدرا ولم اشك فاقة … على انني بين المساكين نازل

صلى الله عليه وعلى اله واصحابه الذين كبروا في الاحزاب زمرة وقفوا في سبيل الخيرات اثره • واصبحت اسفار جودهم بايدي سفره فمنهم الكرام البرره • الذين بايعوه تحت الشجرة • واورقت غصون رماحهم بسقيا دم الكفرة الفجرة • وبدالهم من المشركين في مرايا سيوفهم تحت العجاج وجوه يومئذ عليها غبرة • رضي الله عنهم وعن بقية الصحابة اجمعين • والحق بهم من تخلفهم من الخلفا ومن تبعهم من التابعين وحما هذه الشريعة المحمدية باسنة اعلام علمائها العاملين • واحيا ما غيرها من الموات عز مولانا السلطان محيي العدل في العالمين • السلطان بن السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين • ابو المحاسن حسن صرف الله عامل سيوفه في رقاب

زوي النفاق وحرس غرفات قاعاته السبع بملايكة السبع الطباق
ما دامت ايام الجمعة واشرقت في لياليها من الثريا نجومها السبعة
امين امين لا ارضى بها بعد حبي اضيفها اليها الف امينا

وبعد فلما كانت السبعة اشرف الاعداد وكان وجودها بمصر
اكثر من ساير البلاد الفت منها في هذا الكتاب بسنة سبع وخمسين
وسبعماية ما لم اسبق اليه ولا عثر احد في الاقاليم السبعة عليه
وسياتي مصداق هذا الكلام ولا سيما في ذكر قصة يوسف
الصديق عليه السلام وسميته سكردان السلطان لاشتماله
على اشيا مختلفة من جد وهزل وولاية وعزل وبهجة ملوك
واداب وسلوك وسير وعبر وتغير دول وانتقال ملك وجريان
فلك وقطع طريق وجر مجانيق وافعال مكر واعمال سحر وبيان
وتبيين ومدح وتانيب ويقظة ومنام وبر واثام وقال وقيل
واهرام ونيل وغرايب وعجايب مما تلقفته من افواه الشيوخ الاجلة
ورويته عمن جمع كثرة وقلة وشاهدته بعين الحقيقة والتقطته
من التواريخ المعتمد عليها التقاط الزهر من الحديقة وغير ذلك
مما هو في معيار رسالتي المسماة بالمقاصد السبع زهرات التي تجتمع
بمصر في صعيد واحد مما لا يحصى كثرة ولا يقال لمنكره عثرة هذا

مع

مع ما ينخرط في سلك ذلك من حكايات باهرة واحكام كانت للملوك
المتقدمة بمصر القاهرة فهو لا سيما بذكر السبع زهرات تاليف لطيف
وحكايات وحضيرة تصلح للمقام الشريف

من نرجس واقاح كاعين وثغور

ومن شقيق كحنا قد اقبلت في حرير

وياسمين كلولو النظيم المهجور

والاس تشبه عذار في خد ظبي غرير

والورد اقبل في جيش حسنه المنصور

ورتبته على مقدمة وسبعة ابواب ونتيجة اما النتيجة فهي
ذكر نبذة مما وقع في اقليم مصر من هذه الاعداد على طريق الاجمال
واما الابواب فالباب الاول في ذكر خاصية هذا العدد وشرفه ومزيته
على غيره من الاعداد الباب الثاني في بيان ما لمولانا السلطان بهذا
العدد من الصلاحية وما بينهما من النسبة والسر المقتضي لفخره ودوام
ملكه الباب الثالث في حد اقليم مصر الذي وقع فيه هذا العدد وذكر نبذة
من اخباره واخبار القاهرة والنيل وما جرى مجراه الباب الرابع
في كون مولانا السلطان اعزه الله سابع من جلس على سرير الملك من
اخوته وذكر من ولي الملك من الترك من اول دولتهم الى يومنا هذا

مختصر الباب الخامس في ذكر طرف يسير من سيرة مولانا السلطان نصره
الله وسيرة اخوته وابيه وعميه الاشرف والصالح وجده الملك
المنصور رحمه الله تعالى الباب السادس في ذكر اتفاقات غريبه واشيا
عجيبه اتفقت لمولانا السلطان ولبعض اخوته وابيه وعمه الاشرف
وجده المنصور لم يسمع باغرب منها ولم يسبقني احد الى التنبيه عليها
على هذا الوجه الباب السابع في تفسير بعض ما اودعته خطبة هذا
الكتاب والباب الخامس منه من الاثار النبويه والنكت الادبية على سبيل
الاختصار واما النتيجة التي مدار هذا الكتاب عليها وعين عنوانه
ناظرة اليها ففي بسط الكلام على ما تقدم ذكره في المقدمة من هذا العدد
وتفصيل مجمله وايضاح مشكله ويشتمل ذلك ايضا على سبعة
ابواب الاول في ذكر قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وبسط الكلام على
ما وقع من ذلك فيها من تلك العدد الثاني في بسط الكلام على ما وقع
من ذلك في قصة موسى عليه السلام وفرعون الثالث في بسط الكلام على
ما وقع من ذلك في سير الملوك السالفة بمصر وذكر طرف من سير كاهنات
لبعضهم من الاعمال العجيبة في السحر وغيره الرابع في بسط الكلام
على ما وقع من ذلك في سيرة الحاكم احد الخلفا الفاطميين بمصر وطرف
يسير من اموره الشنيعة واحكامه المخالفة للشريعة الخامس

في

في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في الحوادث الواقعة بمصر وما في معناها
السادس في بسط الكلام على ما وقع في القاهرة وضواحيها والاهرام
ونواحيها من اقليم مصر المحروسه السابع في ذكر السبع زهرات التي تجتمع
بمصر في صعيد واحد وذكر ما قيل فيها من منظوم ومنثور وغير ذلك
وذكرت عقب كل باب من هذه الابواب السبعة والابواب التي قبلها
سبع حكايات وسميته خاتمة الليالي وسجع طاير المستطاب
ليصح لها لكل باب حسنا في بابه مقبولا عند اربابه ولا حول ولا قوة الا بالله
وهو حسبي ونعم الوكيل المقدمة في ذكر نبذة مما وقع في اقليم مصر
من هذا العدد على سبيل الاجمال اقول الذي سيرته وحررته من السير وكتب
التفسير وغيرها ان يوسف الصديق عليه السلام اقام عند عزيز مصر
سبع سنين حتى بلغ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت
الابواب وكانت سبعة ابواب وشهد شاهد من اهلها الاية وكان صغيرا
في المهد وعمره سبعة ايام ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه
حتى حين فاقام في السجن سبع سنين على قول الاكثرين وراى الوليد
ابن الريان ملك مصر سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر واخر يابسات فقص ذلك على يوسف فقال تزرعون
سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون

ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون
فلما راه الملك عند ذلك وصرفه في لهالك فكان يركب في محمل سبعة ايام
في الموكب في سبعين الف سنة وقيل في ماية الف من عظما قوم فرعون
وكان يوسف عليه السلام قد راي الرويا الاولي وهو ابن سبع سنين وكانت
اخوته احد عشر سبعة منهم من ليا بنت لبان وهي بنت خال يعقوب
عليه السلام وكان ابوه قد كتب اليه حين حبس اخاه بنيامين عنده
علي الصاع كتابا جامعه وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فارحم ترحم
واردد علي ولدي فان فعلت فالله يجزيك وان لم تفعل والا دعوت
عليك دعوة تدرك السابع من ولدك اقول ومثل هذا قوله تعالي
وكان ابوهما صالحا قال علما التفسير اراد به الجد السابع ولما ذهب يهودا
بالقميص والقاه علي وجه ابيه مشي ثمانين فرسخا في سبعة ايام
وكان معه سبعة ارغفة لم يستوف اكلها حين وصل الي ابيه وسورة يوسف
تنقسم ماية وسبعة الاحرف وفي هيت لك سبعة اقوال للمفسرين
قلت ويوسف عليه السلام ايضا من سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا
ظله لانه دعته امراة ذات حسن وجمال فقال اني اخاف الله رب العالمين
وسياتي بسط الكلام علي هذا جميعه عند ذكر قصته من هذا الكتاب
ان شا الله تعالي وكان اعرابيا جا موسي عليه السلام يا رب اوصني فقال
اوصيك

اوصيك بامك سبع مرات وحشر فرعون السحرة من المداين وكانت سبع
مداين وقال ابليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي وكانت سبع
خلجان وكان قصيرا وطول لحيته سبعة اشبار وخرج موسي ببني اسرائيل
في ستماية الف وسبعين الف مقاتل فخرج فرعون في طلبه وعلي مقدمة جيشه
هامان في الف الف فارس وسبعماية الف وكان فيهم سبعون الف من دهم
الخيل وقيل كان فرعون في سبعة الاف الف وارسل الله عليه وعلي قومه
الطوفان سبعة ايام والجراد سبعة ايام والقمل سبعة ايام والضفادع
سبعة ايام والدم سبعة ايام وسياتي الكلام عليه وملك مصر سبعة
من السحرة وكانت لهم اعمال عجيبة الي الغاية وسياتي ذكر هذا ان شا الله
الله تعالي ولبس الحاكم صاحب مصر الصوف سبع سنين ومنع الناس من
الخروج الي الطرقات سبع سنين وسبعة اشهر ووجد مقتولا في سبع
جبات وسياتي ذكر احكامه القبيحة ولعنته الصريحة في بابه واتفق
ان بعض الامرا الاكابر بمصر سال جماعة من الفقها عن ليلة القدر فقال له
بعضهم هي في العشر الاخيرة من رمضان وذكر ما رواه الحافظ ابو الخطاب
عمر بن دحية بسنده في كتابه العلم المشهور في فضايل الايام
والشهور عن قتادة وعاصم انهما سمعا عكرمة يقول قال ابن عباس
دعا عمر واصحاب محمد صلي الله عليه وسلم فسالهم عن ليلة القدر فاجمعوا

علي انها في العشر الاواخر قال ابن عباس فقلت لا اعلم اي ليلة هي واني
لاظن قال عمر واي ليلة هي فقلت سابعة تمضي او سابعة تبقى
من العشر الاواخر فقال عمر ومن اين علمت ذلك قال ابن عباس فقلت
خلق الله سبع سموات وسبع ارضين وسبعة ايام وان الدهر
يدور على سبعة والطواف بالبيت سبعة ورمي الجمار سبعة وخلق الله
ابن ادم من سبع وياكل في سبع فقال عمر قد فطنت لامر ما فطنا له فلما
فهم الامير المشار اليه سر دهو استحسن ايراده اخذ في سرد ما بحره
من هذا العدد حتى انتهى الى قوله والمعادن سبعة والالوان سبعة
وابواب جهنم سبعة اعاذنا الله منها والفاتحة سبع ايات ولا اله الا الله
محمد رسول الله سبع كلمات فلما سكت قال له بعض فقهاء العجم ممن كان
حاضرا كالمستدرك عليه يا مولانا وريك الملك الظاهر سبع فنظر الحاضرون
اليه وانقلب المجلس ضحكا عليه وفي القاهرة الان انسان يعرف بابن السبع
وفي هذه السنة التي هي سنة سبع وخمسين وسبعماية كتب الي الشيخ
جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباته المصري رسالة مطولة تشتمل على
مقاطيع من جملتها قوله

يا امام الورى مضى نصف عام   لم ينل فيه من وصولي ربع
سنة ان غفلت عني فيها   كسرتني وكيف لا وهي سبع

وقوله

وقوله فيمن اسمها مليحة

تغرس الناس في هواها   مالكة للقلوب تدعوا
مليحة حجبت وشاعت   فهي بالطرف والاذن تسمع

عجيبة الاسم قيل خمس   وقيل ست وقيل سبع

فكتبت اليه الجواب عن قوله هذا من جملة رسالتي الموسومة برسالة الهدهد
فقلت دع القول في وصف شرف مولانا الذي اشتمل من احراق قلب الحسود
على تلويح وتصريح وانت الفارس من الذكر واللون بكل مليحة ومليحة افرنجية
باقلام سطورها الشمع وقالت لجنود افكار المنادمين سيهزم الجمع والجمع
عن الخوض في شرح بستها كل قايل ومالي طاقة تلحم ملحقا سبع

ومن جملة هذه الرسالة قولي ايضا

ومدرسة للعلم فيها مواطن   تشيخوا بها فى داوا بناره جمع
لبن بان منها في العلو بمهابة   فوق فوقها لبث واشياخها سبع
وقلت ايضا في هذه السنة من جملة ما كتبته على الرسالة الموسومة
بالدرة السنية والوسيلة النبوية انشا السلطان امير المومنين
ابا عنان ملك الغرب

عريق له في المجد الملك مجد موثل   ونبت قديم في الفخار قد اسس
واباه ممن حوى الملك قبله   لهم اول تمالي المعالي وسادس

فاسعد به كالسبعة الشهب في السما ، وخدامهم فيها الجوار الكنس
فلله ما اشتاته من رسالة ، بدرتها العقد النفيس تنافس
سمت بها اعلا النبي رتبة ، اذا ارتفعت يوم المعاد المجالس
نبي علا السبع الطباق بنفسه ، وطل للعلا الا النفوس النفايس
لين كنت في الزلفى برؤياه طامعا ، فها انا منه نيل الشفاعة ايس
عليه من البر السلام تحية ، تضوع انف الكفر بالرغم عاطس
وصلي عليه الله ما ذكر اسمه ، ولاح بوجه الارض رطب ويابس

وهذا القدر كان في هذا الموضع ويبا في الكلام على السبع زهرات والتاج والسبع وجوه الباب الاول في ذكر شرف هذا العدد وخاصيته ومزيته على غيره من الاعداد اقول من سبعة اوجه احدها قاله صاحب النسمات الفايحة وغيره من ارباب علم الرياضة السبعة اول عدد كامل لانها جمعت العدد كله لان العدد ازواج وافراد فالازواج منها اول وثاني فالاثنان اول الازواج والاربعة عدد ثاني والثلاثة اول الافراد والخمسة فرد ثاني فاذا جمعت الزوج الاول مع الفرد الثاني والفرد الاول مع الزوج الثاني كانت سبعة وهذه الخاصية لا توجد في عدد قبل السبعة الثاني ما حكاه بعض المفسرين ان العرب تبالغ بالسبعة لان التعديل في نصف العدد وهو خمسة اذا زيد عليها واحد

واحد كان لادنى المبالغة والزيادة على ذلك الثالث قال الاستاذ ابو عبد الله الكفيف المالقي في واو الثمانية انها لغة فصيحة لبعض العرب من شانهم ان يقولوا اذا عدوا سبعة وثمانية فكانت هي لغتهم ومتى جاء من كلامهم امر ثمانية ادخلوا عليه الواو اقول وانما كان ذلك كذلك لان السبعة عندهم عدد كامل والعدد بعدها مستانف ومنه قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم فاثبت الواو بعد السبعة ولم يثبتها فيما تقدم من الاعداد واللغة الفصيحة التي اشار اليها هي لغة تى بيثب فيما حكاه الثعلبي عن ابي بكر بن عياش الرابع قال ابن عطية في تفسيره وقد جعل الله السبعاية والسبعين والسبعة مواقف ونهايات لاشيا عظام فلذلك مشى العرب وغيرهم على ان يجعلوها نهايات اقول ويؤيد قوله هذا سبعة مواضع من كتاب الله تعالى احدها قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم على انه ليس المراد بذكر السبعين هنا حصر ووجود المغفرة بعدها وانما هو على وجه المبالغة بذكر هذا العدد بدليل ما رواه مجاهد وقتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاسوفي الاستغفر لهم اكثر من سبعين فانزل الله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم الثاني قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا

لميقاتنا قيل اختار اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فلما صاروا
اثنين وسبعين قال ليتخلف منكم اثنان فتشاحوا فقال اجر من قعد كاجر
من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى
الله اليه ان يختار من الشبان عشرة لتكمل بهم السبعين فاختارهم
فاصبحوا شيوخا ابن اسحاق اختارهم موسى ليستغفروا بما صنعوا
ويسالوا التوبة على ما تركوا وراءهم من عبد العجل الثالث قوله
تعالى ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا قيل السلسلة سبعون
ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع كما بين رحبة الكوفة ومكة وفي الحديث
لو ارسلت رصاصة يعني صخرة بقدر راس الجبل من السما الى الارض
لبلغتها قبل الليل والنهار كله ولو ارسلت من راس السلسلة لسارت
اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ وروى كعب ان جميع اهل
النار فيها وروي انها تدخل من دبر الكافر وتخرج من فيه وقيل من
انفه قال الزمخشري في الكشاف وفي قوله تعالى ولا يحض على طعام
المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه
على الكفر وجعله قرينة الثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض
بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وعن ابي الدردا رضي الله عنه
انه كان يحض امراته على كثرة المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف
السلسلة

السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها بالحض الرابع والخامس قوله
تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الاية
قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله وقد اكثر الله من ذكر السموات
والارض في كتابه العزيز وذلك يدل على عظم شانهما وعلى انه
له سبحانه وتعالى فيهما اسرار عظيمة وحكم بالغة لا تصل اليها
الافهام ولا العقول وقد جعل الله اديم السما ملونا بهذا اللون
الازرق لتنتفع بها الابصار الناظرة اليها لان فيه تقوية لها حتى
ان الاطبا يامرون من اصابه وجع العين بالنظر الى الازرق فهو تعالى
جعل لونها احسن الالوان وهو المستنير وشكلها احسن الاشكال وهو
المستدير وقد زينها سبحانه وتعالى بسبعة اشيا بالمصابيح
وبالقمر والشمس والعرش والكرسي وباللوح والقلم فهذه السبعة
ثلاثة منها ظاهرة واربعة خفية تثبت بالدلايل السمعية من
الايات والاخبار السادس والسابع قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية
حبة والله يضاعف لمن يشا وجه استنباط السابع من هذه الاية
الكريمة ان الحبة انبتت سبع سنابل وفي كل سنبلة ماية حبة فصارت
الجملة سبع ماية حبة والله يضاعف لمن يشا الثامن من اصل الباب

قال بعض المفسرين السبعة عدد ممتنع لانها في السموات وفي الارض
وفي خلق الانسان وفي رزقه وفي اعضايه التي بها يطيع الله تعالى
وبها يعصيه وهي عيناه واذناه ولسانه وبطنه وفرجه ويداه
ورجلاه وقال الامام فخر الدين الرازي في اسرار التنزيل لا اله الا الله
محمد رسول الله سبع كلمات والعبد سبعة اعضا وللنار سبعة
ابواب وكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق بابا من الابواب السبعة
من عضو من الاعضا السبعة السادس قوله عليه الصلاة والسلام
المومن ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعا قال الامام فخر
الدين في هذه الاشارة الى قلة الاكل وكثرته من غير ارادة السبعة
بخصوصها ويقال ان لجهنم سبعة ابواب بهذا التفسير اقول
ولاهل العلم في هذا الحديث اقوال منها ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب
هذا مثلا للزهادة في الدنيا والحرص عليها فجعل المومن في قناعته
بالميسور من الدنيا كالاكل في معا واحد والكافر لشدة رغبته في الدنيا
كالاكل في سبعة امعا قاله ابو محمد السيد البطليوسي وهذا اصح الاقوال
السابع ما الهمني الله اليه من استقراء هذا العدد وذلك ان
حروفه الثلاثة التي هي س ب ع وما تصرف منها بتقديم بعضها
على بعض وتاخيره ست تركيبات خمسة منها مستعملة في كلام العرب

وواحده

٨

وواحدة مهملة والخمسة المستعملة وما تصرف منها لا يخلو من معنى
القوة والعظمة بيان ذلك ان مادتها الاصلية الاولى س ب ع
يقال سبعته اي شتمته ووقعت فيه وسبعت الذياب الغنم اي
افترستها فاكلتها والسبع والسبعة بضم البا فيهما الاسد واللبوة
ويجوز سكون البا فيهما قال الشاعر
لسان الفتى سبع عليه شذاته وجا في كلام احذه اخذ سبعة بسكون البا
اي اخذ لبوة وانما قالوا اخذ سبعة ولم يقولوا اخذ سبع لان اللبوة
اتوق من الاسد الثانية مادة س ع ب الثعابيب من الما هو الصافي
الجاري الذي فيه تمدد وفي الثالثة مادة ب س ع مهملة لم تستعملها
العرب ولا وضعت لها مثالا فيما اظن لاني كشفت عليها من صحاح الجوهري
والمحكم لابن سيدة فلم ار احدا منهما ذكر لها مثالا ولا سيما ها الرابع مادة
ب ع س قال في المحكم البابوس الناقة الضخمة الخامسة مادة ع ب س
عبس ابو قبيلة من قيس والعبوس الجمع الكبير ويوم عبوس
وعابس اي شديد قال الله تعالى عبوسا قمطريرا والعوابس الذياب
العاقدة اذنابها والعنبس الاسد السادسة مادة ع س ب عسيب اسم
جبل قال امرؤ القيس واني مقيم ما اقام عسيب واليعسوب ملك النحل
واميرها وقال امير النحل علي كرم الله وجهه هذا يعسوب قريش

اي سيدها وكل رئيس قوم يسمي يعسوب واليعسوب ايضا اسم فرس
النبي صلي الله عليه وسلم واليعسوب ايضا غرة في وجه الفرس مستطيلة
تنقطع قبل ان تساوي اعلا المنخرين واليعسوب ايضا طاير دون الجراد
طويل الذنب لا يضم جناحيه اذا وقع علي الارض تشبه به الخيل في الضمر
اقول واليعسوب ايضا نوع من النحل وهو اعظمها فقد ظهر بهذا
الاستقرا والنقل مزية هذا العدد علي غيره وان القوة لا تنفك
عنه حيث لزمته تصاريف حروفه ودارت معها حيثما دارت
وهذه طريقة تسمي الاشتقاق الاكبر ولم يتعرض لذكرها من العلما
الا القليل كابن جني في الخصايص وابن الخباز في شرح الايضاح
لما تكلم علي الكلام وقد استقريت ما وقفت عليه من كتب العلم
كالتفسير والحديث والتواريخ وغير ذلك فلم ار العدد المذكور ايرادا
علي الالسنة اكثر من هذا العدد ومن تصدي لذلك علم صحة ما قلته
ومعلوم ان كثرة الاسما تدل علي شرف المسمي ومن احب شيا اكثر من
ذكره **خاتمة الباب وسجع طايره المستطاب اولها** اقول قد تقدم ان
اليعسوب ذكر النحل ومن غريب ما يحكي عنه ما حكاه ابو حيان في كتاب الامتاع
والموانسة ان النحل ياتي العشاش تطايره من النحل وياخذ بيضها ويحضنه
فاذا تحركت الفراخ وصار لها قوة علي الطيران طارت ولحقت بامهاتها التي
باضتها

باضتها وهذا من العجايب وحكي الزمخشري رحمه الله في ربيع
الابرار ان النحلة تكون في سفالة الريح واليعسوب في علاها فتلقح
كما تلقح من النخل بالريح ثانيها حكي القاضي شمس الدين بن خلكان
في تاريخه والشيخ شمس الدين الذهبي في كتاب تاريخ الاسلام في ترجمة
العماد الكاتب ان العقاب ليس فيه ذكر وان الذي يسافده حيوان اخر من
غير جنسه قيل الثعلب وقيل غير ذلك وفي ذلك يقول ابن عنين
يهجو شعر

ما انت الا كالعقاب فامه معلومة وله اب مجهول

ثالثها حكي الذهبي في كتاب تاريخ الاسلام ايضا انه ورد كتاب
الي القاهرة من السلطان محمود بن سبكتكين في سنة اربعة عشر
واربعماية يذكر انه اوغل في بلاد الهند حتي جا الي قلعة بستماية صنم
قال وانتهيت الي قلعة ليس لها في الدنيا نظير وما اظن بقلعة تسع
خمسماية فيل وعشرين الف دابة وتقوم هولا بالعلوفة فاعان الله تعالي
حتي طلبوا الامان فامنت ملكهم واقررته علي ولايته بخراج ضرب عليه
وانفذ هدايا كثيرة من جملتها طاير علي شكل القمري اذا احضر علي الخوان
وكان فيه من السم دمعت عيناه وجري منها ما ويتحجر فيحك ويطلي
به محل الجرح فيبرا علي الفور ويلتئم وهذا من العجايب

رابعها حكى ابو الفرج معافا بن زكريا النهرواني في كتابه الجليس
والانيس عن محمد بن مسلم السعدي قال توجهت الى يحيى بن اكثم
يوما فنظرت اليه فاذا عن يمينه قمطرة مجلدة فجلست فقال افتح هذه
القمطرة ففتحتها فاذا قد خرج الي من راسه راس انسان ومن سرته
الى اسفله زاغ وفي صدره سلعتان فكبرت وهللت وفزعت
ويحيى يضحك فقال لي بلسان فصيح طلق شعرا

انا الزاغ ابو عجوه   انا ابن الليث واللبوه
احب الراح والريحان   والنشوه والقهوه
فلا عدوي يدي تخشى   ولا يحذر لي سطوه
ولي اشيا تستظرف   يوم العرس والدعوه
فمنها سلعة في الظهر   لا تسترنها الفروه
واما السلعة الاخرى   فلو كانت لها عروه
لما شك جميع الناس فيها انها ركوه

ثم قال يا كهل انشدني شعرا غزلا فقال لي يحيى قد انشدك فانشده
فانشدته

اغرك اني اذنبت ثم تتابعت   ذنوب فلم اهجرك ثم ذنوب
واكثرت حتى قلت ليس بصارمي   وقد يصرم الانسان وهو حبيب

فصاح

فصاح زاغ زاغ ثم طار وسقط في القمطرة فقلت ليحيى اعز الله
القاضي اي عاشق ايضا فضحك فقلت ايها القاضي ما هذا فقال
هو ما ترى وجه به صاحب اليمن الى امير المومنين وما راه وكتب
كتابا لم افضضه واظن انه ذكر فيه شانه وحاله خامسها
حكى الثعالبي في كتاب العرايس ان الهدهد يرى الما تحت الارض
كما يرى احدكم كاسه فينقر الارض فيعرف موضع الما فتخرجه
الشياطين قال سعيد بن جبير حين ذكر ابن عباس رضي الله عنهما
هذا الحديث قال له نافع الازرق ارايت قولك الهدهد ينقر الارض
فيبصر الما ايبصره ولا يبصر الفخ حين يقع في عنقه فقال ابن عباس
ويحك اذا نزل القضا عمي البصر اقول قريبا من هذا ما حكاه ال
الهيثم ان الغراب يبصر من تحت الارض بقدر منقاره قال ابن الاعرابي
وانما سمي الغراب اعور لانه يغمض احدى عينيه ويقتصر على
احدهما من قوة بصره قال بشار بن برد شعرا

وقد ظلموه حين سموه سيدا   كما ظلم الناس الغراب باعور

وقال بعضهم

والاعور المهتوك مع اهله   خير من الاعمى على كل حال

سادسها حكي ان في بحر المغرب من جهة الاندلس جبلا مدورا

وفيه كنيسة مشروط على من بها من الرهبان ضيافة الزوار
وتعرف بكنيسة الغراب وان في اعلاها قبة كبيرة وعليها غراب
لا يبرح ولا يدري من اي شي ياكل فاذا قدم زاير او اكثر ادخل
الغراب راسه في روزنه باعلا القبة وصاح بعددهم فان كان
الزاير واحدا صاح مرة واحدة وان كان الزوار سبعة صاح سبعة
وان كانوا اكثر صاح بعددهم وهذا من العجايب سابعها
جبل الطير بصعيد مصر الادنى مطل على النيل مقابل منية بني
خصيب فيه اعجوبة لم ير مثلها في ساير الاقاليم وهي باقية
الى يومنا هذا وذلك انه اذا كان اخر فصل الربيع قدم اليه
في يوم معلوم طيور كثيرة بلق سود الاعناق مطوقات الحواصل
سود اطراف الاجنحة في زعاقها حاجة يقال لها طير البح لها
لها صياح يسد الافق فتصعد كلها في ذلك الجبل فينفرد منها
طاير واحد فيضرب بمنقاره في مكان مخصوص في شعب الجبل عالي لا يمكن
الوصول اليه فان علق تفرقت الطيور عنه فان لم يعلق تقدم غيره
في ذلك الموضع وهكذا واحدا بعد واحد الى ان يعلق منهم واحد
فيبقى معلقا فلا يزال معلقا بمنقاره الى ان يموت فيضمحل في العام
القابل ويسقط فتاتي الطيور على عادتها في السنة القابلة فتعمل

العمل

العمل المذكور وقد اخبرني بهذا غير واحد من المصريين ممن شاهد ذلك
وهذا مشهور معروف في مصر الى يومنا هذا وحكى بعضهم انه راى
بعض السنين طيرا معلقا بمنقاره ~~الى ان يموت فيضمحل في العام~~ وتفرقت
عنه الطيور ثم اضطرب اضطرابا شديدا واطلق نفسه والتفت الطيور فدارت
عليه وجعلت تنقره بمناقيرها الى ان عاد وتعلق بمنقاره في ذلك
الموضع وهذا من العجايب التي لم يسمع باغرب منها واما حديث
الرخ والعنقا وغير ذلك فقد ذكرته في كتابي غرايب العجايب وعجايب
الغرايب **الباب الثاني** في بيان ما لمولانا السلطان اعزه الله تعالى
بهذا العدد من العلاقة وما بينهما من المناسبة والسر المقتضي لدوام
نصره ودوام ملكه وذلك من سبعة اوجه **احدها** انه اعزه الله
تعالى سابع من جلس على سرير الملك من اخوته وسياتي ذلك في الباب
الرابع **الثاني** انه وافق والده السلطان الملك الناصر الشهيد في سبعة
اشيا منها ما هو غريب الى الغاية وسياتي ذكرها في الباب السادس
الثالث ان الله تعالى خص اقليم مملكته من هذا العدد بما لم يخص
به اقليما غيره لما تقدم ذكره في المقدمة ولما ياتي ذكره في بقية الابواب
من هذا الكتاب الرابع انه بانقضاء هذه السنة المباركة
التي هي سنة سبع وخمسين وسبعماية سبع سنين في الملك

الخامس ان قاعاته المحروسة سبع قاعات متواليات بقلعة
الجبل المحروسة السادس والسابع انه داخل تحت قوله عليه الصلاة
والسلام سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله الحديث لانه امام عادل
وشاب نشا في عبادة الله فلما طابق هذا العدد المذكور من الوجوه السبعة
وكان اعني هذا العدد السابع عند اهل علم الفلك من الاوتاد الثابتة
دل ذلك على ثبات ملكه ودمار عدوه وهلكه وعظم شانه وقوة
سلطانه وتشييد اركانه لان التصريف الذي يكون من السين والعين
شديد الاسر من ذلك السبع والعبوس والعنبس والعنابس والعيب
واليعسوب والسعابيب ونحو هذا من القول وانما قيل للاسد السبع لان
قوته ضوعفت سبع مرات وقد تقدم من الكلام على هذا ما فيه
كفاية وهذا القدر كاف هنا خاتمة الباب في سبع طايره المستطاب
اولها اقول هذا الذي ذكرته هنا على سبيل الفال بدوام ايام
مولانا السلطان لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال قال عليه
السلام لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفال وروي عنه عليه الصلاة
والسلام لما قدم المدينة نزل برجل من الانصار فنادى الرجل
غلمانه يا سالم يا يسار فقال صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الدار في يسر
وما احسن قول ابي العلا

سالن

12

سالن نقلن متصل بسعيد فكان اسم الامير لهن فالا ونعاله
وقد سماه سيلك عليا وذلك من علو القدر فال
ثانيها اتفق انه تساقطت النجوم في ايام احمد بن طولون
فراعه ذلك واحضر عنده من المنجمين والعلما وسالهم ما عندهم في
ذلك فما اجابوا بشي فدخل عليه الجمل الشاعر وهم في الحديث فانشده
في الحال

قالوا تساقطت النجوم ... لحادث قط عسير
فاجبت عند مقالهم ... بجواب محتفل خبير
هذي النجوم الساقطات ... نجوم اعدا الامير

فتفاول ابن طولون بقوله واستبشروا واستبشر وامر له بصلة
سنية وخلعة وقال للجماعة افي لكم ما فيكم من يحسن يقول مثل هذا
اقول وكان هذا الجمل صاحب نادرة زاره صديق له يا كل
سمنا فقال يا ابا عبد الله لا تاكل السمن فانه سم زيدت فيه النون
فقال له وينبغي ان تاكل الحية لانها حياة سقطت منها الالف
ثالثها حكي ان طاهر بن الحسين خرج لقتال عيسى بن ماهان
وفي كمه دراهم يفرقها على الضعفا ثم انه سهى واسبل كمه فتبددت
فتطير من ذلك فقام اليه شاعر وقال

هذا نبذه وتسليم لا غيره   وذهابه منا ذهاب الهم
شيء يكون الهم نصف حروفه   لا خير في امساكه في الكم

فتفاول بقوله واحسن جايزته **رابعها** حكي ان رجلا دخل علي كافور الاخشيدي صاحب مصر فدعا له وقال في دعايه ادام الله ايام مولانا بكسر الميم من ايام فتحدث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه فقام رجل وانشد مرتجلا فقال

لا غرو ان لحن الداعي لسيدنا   او غص من دهش بالريق او بهر
فتلك هيبته حالت جلالتها   بين الاديب وبين الفتح بالحصر
وان يكن خفض الايام من غلط   في موضع النصب لا عن قلة النظر
فقد تفاولت من هذا لسيدنا   والفال نوثره عن سيد البشر
بان ايامه خفض بلا نصب   وان اوقاته صفو بلا كدر

خامسها ابو مسعود قال قال ابو داود المسيحي ما اسمك فقلت سعد قال ابن من قلت ابن مسعده قال ابو من فقلت ابو مسعود فقال لي مسالتك مثل اعرابي لقي اخر فقال ما اسمك فقال فياض قال ابن من قال ابن الفرات قال ابو من قال ابو بحر فقال ما ينبغي لنا ان نلقاك الا في زورق والانوق والعلم المشهور في هذا الباب ما رواه مالك ابن انس رضي الله عنه في الموطا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سال رجلا

١٢

رجلا عن اسمه فقال شهاب قال ابن من قال ابن حرقه فقال ممن قال من اهل حرة النار فقال وابن مسكنك قال بذات لظي فقال ادرك اهلك فقد احترقوا فكان الامر كما قال **سادسها** حكي ان شهاب الدين القوصي كان يوما عند الملك الاشرف فدخل اليه سعد الدين الحكيم وكان بينهما وحشة فقال له الاشرف ما تقول يا شهاب الدين في سعد الدين فقال يا خوند اذا كان عندك فهو سعد السعود وعلي السماط بلع وفي الخيام من الضيوف سعد الاخبيه وعند المرض سعد الذابح فضحك السلطان واعجبه كلامه وعلم ان بينهما وحشة فاصلح بينهما وامر لكل واحد منهما بتشريف وعلي ذكر سعد الاخبيه قلت وقد اقتضت الحالة ذلك

دع عنك مصر واهلها بعد الوفا   الفوا الجفا وتجيبوا في الابنيه
قلت بها الاعيان حتي انني   عاينت سعد الدين سعد الاخبيه

سابعها حكي ان ابن الرومي كان شديد التطير فيلازم بيته ولا يخرج منه الا بعد ان يستقرا الفال الحسنة فيما يسمعه ويتفاول به من الكلمات الحسنة والوجوه الحسنة المليحة حكي انه بعث اليه جماعة من اصحابه غلاما حسن الوجه حسن الاسم طيب الرايحة فلما طرق الباب عليه خرج اليه فساله في الحضور الي عند اصحابه

فسمع كلامه وشم طيبه فراي وجهه المليح فقال الحسن في حسن
واجابه الي سواله فلما جمعه راي كان خياط علي راس الدرب وقد
صلب درابة الباب وهو يا كل تمرا فقال ان الدرابتين لام الف والتمر
ثم فتفال بذلك فقال لا تم فدخل واغلق الباب وقال والله لاسررت
منك وفي هذا الباب حكايات عجيبه والجنون فنون

الباب الثالث في ذكر حد اقليم مصر الذي وقع فيه هذا
العدد وذكر نبذة من اخباره واخبار القاهرة والنيل وما جري مجراه
علي سبيل الاختصار اقول حد اقليم مصر من الشجرتين
اللتين بين لفح والعريش الي اسوان وعرضها من برقة الي ايله
فهي مسيرة اربعين ليلة ثلاثون ليلة طولا وعشر ليال عرضها
وقريب من هذا الحد ما حكاه بعضهم ايضا ان حد اقليم مصر من بحر
الروم الذي بالاسكندرية وقيل من برقة في البر وينتهي الي ظهر الواحات
السبع ويمتد الي بلد النوبة ثم تعطف علي حدود النوبة من حد
اسوان علي ارض البجاوة قبلي اصوان حتي ينتهي الي بحر القلزم ويتجاوزه
الي طور سينا ثم يعطف علي تيه بني اسرائيل مارا علي بحر الروم في الجفاير
خلف الفرج العريش ولفح ويرجع علي الساحل مارا علي بحر الروم
في الجفاير خلف العريش ولفح الي الاسكندرية فيتصل بالحد الذي
قدمت

قدمت ذكره من نواحي برقه وهو اقليم عظيم سكنته الجبابرة مثل
مصعب بن الوليد والوليد بن مصعب فرعون موسي وفرعون يوسف
وموقعه من الاقاليم السبعة الثالث وهذه صفة كرة الارض وموقعه
منها ما نراه في هذه الدايره بلاد السودان في الغرب فالاول اقليم الهند
٢ اقليم الحجاز ٣ اقليم مصر ٤ اقليم بابل ٥ اقليم الروم ٦ اقليم بلاد الشرق ٧
اقليم بلاد الصين ما ورا الصقالبة فالاقليم الثالث من جملة اقليم مصر
مبداه من المشرق فيمر علي شمال بلاد الصين ثم الهند ثم السند ثم بابل
وكرمان وسجستان وفارس والاهواز والعراقين والشام ومصر
واسكندريه وفيه من البلاد المعروفه غزنة وكابل وسجستان
واصبهان وبست وكرمان ومن فارس اصطخر وجور وسابور وسيراف
وكور الاهواز كلها ومن الشام حمص ودمشق وصور وعكا وطبرية
وارسوف والرملة وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين
ثم يقطع اسفل مصر ويمر علي تنيس ودمياط والفسطاط
والفيوم ومن المغرب برقه وافريقيه والقيروان وقبايل البربر
في ارض المغرب والسوس وبلاد طنجه وسبته وينتهي الي البحر
المحيط وطول وسطه من المشرق الي المغرب ثمانماية الف وسبعماية
واربع وسبعون ميلا وثلاثة وعشرون دقيقة وعرضه ثلاثماية

وثمانية واربعون ميلا وخمس واربعون دقيقة وهو في قول الفرس
للمريخ وفي قول الروم لعطارد وله من البروج الحمل والعقرب وفتحت مصر
كلها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عمرو بن العاص ولما فتحها
اتى اليه اهلها وقالوا له ايها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها
فقال لهم ما ذاك فقالوا له اذا كانت ثنتا عشر ليلة تخلوا من شهر بونة
من اشهر العجم عمدنا الى جارية بكر من بين ابويها فارضيناهما وجعلنا
عليها من الحلي والثياب افضل ما يكون ثم القيناها في النيل فقال لهم عمرو
هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فاقاموا بؤونه
وابيب ومسرى وهي اسما ثلاثة اشهر للقبط لا يجري فيها النيل
لا قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلا منها فلما راى ذلك عمرو بن العاص كتب
بذلك لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه بطاقة وكتب الى عمرو
ابن العاص اني كتبت اليك بطاقة فالقها في النيل فاخذها عمرو وقراها
فيها من عبد الله امير المومنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت انما تجري
من قبلك فلا تجري وان كان الله هو الواحد القهار هو الذي يجريك
فنسال الله ان يجريك والقى البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم
وقد تهيا الناس بالجلا من مصر فلما القى البطاقة في النيل اصبحوا يوم
الصليب وقد اجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة
فقطع

فقطع الله تلك السنة السو من اهل مصر اقول وكان مثل هذه
البدعة في زماننا هذا وذلك ان النصارى كان عندهم صندوق فيه اصبع
بعض من هلك من عبادهم يسمونه الشهيد وكانوا في كل سنة يلقونه
في البحر عند شبرا وهي قرية على شاطي النيل بالقرب من القاهرة في ثامن
بشنس من اشهر القبط ويزعمون ان النيل لا يزيد الا بالقايه فيه ثم انهم
يعيدونه ويحترزون عليه عندهم الى العام المقبل ثم يلقونه ايضا في التاريخ
المذكور وكان يجري بسببه من ركوب الناس في البحر من الفساد ما لا يعبر
عنه الفهم فالهم الله تعالى من اجرى الخيرات على يديه المقر السيفي طرغتمس
الملكي الناصري راس نوبة فاخذ هذا الصندوق واحرقه وذلك في سنة
اربع وخمسين وسبع ماية ثم اتفق ان النيل المبارك زاد في تلك السنة
زيادة لم يعهد مثلها في دولة الاسلام من تاريخ الهجرة النبوية والى يومنا هذا
الا انه بلغ اثنين وعشرين ذراعا وهذا شي غريب جدا ثم استمر في كل سنة على
جاري عادته في السنين الماضية وبطلت تلك السنة السيئة ومن غريب
ما وقع انه زاد في تلك السنة تسعة عشر اصبعا من تسعة عشر ذراعا
في تاسع عشر شعبان وهذا اتفاق غريب الى الغاية وكنت قد وضعت
فيه في تلك السنة مقامة جا منها قولي وغرق بتغليب الظلمة
الذين هم في خوضهم يلعبون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون

فكم بها من نصراني كفر بالاناجيل ويهودي قال حين ادركه الغرق امنت
انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل وقد ذكر الله تعالى مصر في ثمانية
عشر موضعا من كتابه العزيز منها قوله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم
ومنها قوله فيما حكاه عن فرعون اليس لي ملك مصر قال بعض الاطبا
ونيلها اية من ايات الله تعالى وما شرب منه زادت قوته وما الدجلة
يضعف شهوة الرجال ويزيد في شهوة النسا ويقطع نسل الخيل حتى ان
جماعة من العرب لا يبيعون منها خيلهم وقال ابن زولاق لولا ما يمص
من الليمون والحموضات بمصر ما عاش بها احد لحلاوة مايها وذكر المهدوي
في تفسيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان الله تعالى
سخر للنيل كل نهر على وجه الارض في المشرق والمغرب وذلل له فاذا
اراد الله ان يجري نيل مصر امر كل نهر ان يمده فاذا انتهى جريه
الى ما قدره الله امر كل نهر ان يرجع الى عنصره اقول ومصداق هذا
الاثر ان النيل مخالف لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد اذا نقصت
الانهار كلها واذا زادت نقص لانها والله اعلم تمده بمايها وفي اصل
النيل للناس اقوال حتى ذهب بعضهم الى ان مجراه من جبال الثلج
وهي بجبل قاف وانه يخرق البحر الاخضر بقدرة الله تعالى ويمر على معادن
الذهب والياقوت والزمرد والمرجان فيسير ما شا الله الى ان ياتي الى

بحيرة

بحيرة الزنج قال الحاكي لهذا القول ولولا ذلك يبين دخوله في البحر المالح وما
يختلط به منه لما كان يستطاع ان يشرب منه لحلاوة مايه وقال قوم مبداه
من خلف خط الاستوا باحدى عشر درجة وقال قوم مبداه من جبل
القمر وانه ينبع من اثنتي عشر عينا وقال قوم واختلف في سبب
زيادة النيل ونقصانه فقال قوم لا يعلم ذلك الا الله تعالى وكان
الصالح نجم الدين ايوب رحمه الله يشتهي ان يعرف اصل النيل فرسم ان يشترى
عبيد صغار زنوج وما شاكلهم وجلبا بهم ليستقربوا وسلموا الصيادين السمك
في البحار ليعلموهم صنعة البحر وصيد السمك وان يكون قوتهم من السمك
لا غير فداموا في ذلك يصنع لهم مراكب صغار ليركبوا فيها ويأتوا
بخبر النيل وكان فرعون موسى قبحه الله يجبي خراج مصر في كل سنة
الف الف دينار فياخذ الربع من ذلك لنفسه واهله وبيت ماله
والربع الثاني لوزرايه واسرايه وكتابه وجنده ويكنز الربع
الثالث ذخيرة ويصرف الربع الرابع في حفر الخلجان وسد الترع وعمل
الجسور وعمل مصالح الارض وكان في كل سنة اذا كمل التحضير ينفذ
مع قايدين من قواده اردب قمح فيذهب احدهما الى اعلى مصر والاخر الى
اسفلها فيتامل القايد كل ناحية وارض كل قرية فان وجد
موضعا بايرا فقد اغفل بذره كتب الى فرعون بذلك واعلمه اسم العامل

علي تلك الجهة واخذ ماله وولده فربما عاد القايد ولم يجد موضعا
باير البذر الاردب لتكامل العمارة واستظهار الزراع وجباها عمرو بن
العاص اثني عشر الف الف دينار وكان ذلك اول دخوله اياها ولما
صرف عمر بن الخطاب عمرو بن العاص وولي عبد الله بن ابي سرح
الذي ولاه عثمان رضي الله عنهم فجباه مصر اربعة عشر الف الف
دينار فنظر عثمان الي عمرو بن العاص وقال له قد علمت ان اللقحة
درت بعدك قال نعم ولكن اجاعت اولادها وهذا الذي جباه عبد
الله بن ابي سرح انما هو علي الجماجم علي كل راس شي معلوم خارجا
عن الخراج والمغل وغيرها من الحقوق الديوانية تسمية
القاهرة المحروسة فان الاصل في بنايها جوهر القايد قايد المعز صاحب
المغرب ومصر وهو اول من ملك مصر من خلفا الفاطميين وكان السبب
في ملكه مصر ان كافور الاخشيدي صاحب مصر لما جهز المعز القايد جوهر الي
مصر بملك عظيم ومعه الف جمل من السلاح ومن الخيل مالا يوصف فلما انتظم حاله
وملك مصر ضاقت بالجند والرعية فاختط سور القاهرة وبني بها السور
وسماها المنصورية وذلك في سنة ثلاثة وخمسين وثلاثماية من الهجرة
النبوية فلما قدم المعز من القيروان غير اسمها وسماها القاهرة
والسبب في ذلك ان جوهر لما قصد اقامة السور جمع المنجمين وامرهم
ان

ان يختاروا طالعا لحفر الاساس وطالعا لرمي الحجر فعملوا قوايم من خشب
بين القايمة والقايمة حبل فيه اجراس وافهموا البنايين انه ساعة
تحريك الاجراس ترموا ما بايديكم من الطين والحجارة فوقف المنجمون
لتحرير هذه الساعة فاتفق وقوع غراب علي خشبة من ذلك
الخشب فتحركت الاجراس فظن المتوكلون بالبنا ان المنجمين حركوها
فالقوا ما بايديهم من الطين والحجارة في الاساس فصاح المنجمون
لا لا القاهر في الطالع فمضي ذلك وخانهم ما قصدوه وكان الغرض ان
يختاروا طالعا لا تخرج البلد عن نسلهم فوقع ان المريخ كان في الطالع
وهو يسمي عند المنجمين القاهر فعلموا ان الاتراك لا تزال هذه البلد
تحت حكمهم وانهم لا بد ان يملكوا هذا الاقاليم فلما قدم المعز اليها
واخبر بهذه القصة وكانت له خبرة تامة بالنجامة وافقهم علي
ذلك وان الترك تكون لهم الغلبة علي هذه البلدة فسماها القاهرة
وغير اسمها الاول فكان كما قال وملكها الترك الي يومنا هذا وفي القاهرة
ايضا في قصور الفاطميين قبة تسمي القاهرة ويزعم بعض الناس
ان القاهرة سميت باسمها والصحيح ما قلناه والله اعلم

خاتمة الباب وسجع طايره المستطاب اوله لما توفي وزير المامون
الفضل بن سهل اخو الحسن بن سهل طلب المامون من والده

الفضل ما خلفه فحملت اليه سلة مختومة بقفل ففتح قفلها فاذا فيها
صندوق صغير مختوم واذا فيه درج وفيه مكتوب بخطه بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما قضاه الفضل بن سهل على نفسه انه يعيش سبعة واربعين
سنة ثم يقتل بين ماء ونار فعاش هذه المدة وقتله غالب خادم المامون
في حمام بسرخس وكان قد ثقل امره على المامون فدس عليه غالبا
فقتله مفاجأة ومعه جماعة وذلك في سنة اثنين ومايتين
وكانت له معرفة تامة بالنجامة ثانيهما احكي المسبحي في تاريخ
مصر ان ابا الحسن عليا ابن عبد الرحمن مصنف الزيج كان ابوه مغفلا
يعتم على طرطور طويل ويركب على بغلة عالية وكان يخرج
ضحكة لمن يراه وكان قد افنى عمره في الرصد وتسيير النجوم فعمل
ما لا نظير له وكان يقف للكواكب وكانت له اصابات في علم النجامة
منها انه علم قبل موته بسبعة ايام انه يموت وكان صحيحا سالما فبقي
دهليز داره واعد موضع قبره منها وفرغ من جميع ما يحتاج اليه
وكان كل من خاطبه من اهله واصحابه بكا ويبهم انه جا الوقت وهو
يخرج ويدخل ويتصدق ثم غلق باب داره وقال لجاريته يا احسان
قد غلقت ما لا افتحه ابدا وصفا الما من بركة داره وغسل سوداته
ولم يزل يقرا سورة الاخلاص الى ان خرجت روحه بكرة يوم الثلاثا لاربع
خلون

خلون من شوال سنة تسع واربعين وثلاثماية وسبعة ايام ثالثها
ومنها اصابته ايضا ان الحاكم كان اعطاه دارا فقال له يا امير المومنين
ان اردت ان تعطيني غير هذه الدار فقال ولم فقال لان الما يهلكها
وما فيها فاعطاه غيرها فاخلاها من غد ذلك اليوم فلما كان بعد ثلاثة
ايام جا سيل عظيم من الجبل الى القاهرة وخرب قصورا ودورا وكان
امرا عظيما لم ير مثله فيما تقدم وذهبت الدار المذكورة فبين ذهب
كما ذكر رابعها حكى ابن خلكان عن ابي معشر ان بعض الملوك طلب
رجلا من اتباعه ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه فاستخفى وعلم
ان ابا معشر يدله عليه بالطريق التي يستخرج بها الخفايا فاراد ان يعمل
شيا لا يهتدي اليه فاخذ طشتا وجعل فيه دما وجعل في الدم هاونا
من ذهب وقعد على الهاون اياما فطلبه الملك وبالغ في طلبه فلما عجز
عنه قال يا ابا معشر عرفني موضعه بما جرت عادتك به فعمل المسيلة
التي يستخرج بها وسكت زمانا طويلا حايرا فقال له الملك ما سبب
سكوتك فقال ارى شيا عجيبا فقال وما هو قال ارى الرجل
المطلوب على جبل من ذهب في بحر من دم محيط به سور من نحاس
ولا اعلم في العالم موضعا على هذه الصفة فقال اعد النظر فعمل ثم قال
ما ارى الا ما ذكرت وهذا شي ما وقع لي مثله فلما ايس الملك من

القدرة عليه بهذه الطريقة نادي في البلد بالامان للرجل فلما حضر
بين يديه ساله عن الموضع الذي كان فيه فاخبره بما اعتمد فاعجبه
حسن احتياله في اخفا نفسه ولطافة ابي معشر في استخراجه
لذلك وهذا من العجايب ولابي معشر اصابات كثيرة من هذا النوع
خامسها حكي ابن ابي صيبعة في كتابه الانبا في تاريخ الاطبا
وغيره من ارباب التواريخ ان وزير محمود بن صالح صاحب حلب
وشي بان المصري زنديق ولا يري افنا الصور ويزعم ان الرسالة
تحصل بصفا العقل فامر محمود بطلبه اليه وبعث خمسين فارسا
ليحملوه فلما وصلوا اليه انزلهم واكرمهم بدار الضيافة فدخل عليه مسلم
بن سليمان وقال يا ابن اخي قد نزلت بنا هذه الحادثة الملك محمود
يطلبك فان منعناك عجزنا وان سلمناك كان عارا علينا عند ذوي
الزمم فقال له هون عليك يا عم فلا باس علينا فلي سلطان يذب
عني ثم قام فاغتسل وصلي الي نصف الليل ثم قال لغلامه الي المريخ اين
هو فقال في كذا وكذا فقال زنه واضرب تحته وتدا واجعل في رجلي
خيطا واربطه الي الوتد ففعل غلامه ذلك فسمعناه يقول يا قديم
الازل يا علة العلل يا صانع المخلوقات وموجد الموجودات انا في عزك
الذي لا يرام وكنفك الذي لا يضام الضيوف الضيوف الوزير الوزير

ثم

ثم ذكر كلاما لا يفهم واذا بهزة عظيمة فسال عنها فقيل له الدار وقعت علي
الضيوف فقتلت الخمسين وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من
حلب علي جناح طاير لا تزعجوا الشيخ فقد وقع الحمام علي الوزير قال يوسف
ابن علي فلما شاهدت ذلك دخلت عليه فقال من انت فقلت انا فلان
فقال زعموا اني زنديق ثم قال اكتب فكتبت

باتوا وخفي امانيهم مصورة   وبت لم يخطروا مني علي بال
ونوقوا الي سهاما من سهامهم   فاصبحوا وقعا مني بنا نبال
فما ظنونك اذ جندي ملايكة   وجندهم بين طواف وبقال
اذا مشا فسقة الجهال في خلل   رايتني وحبيب القطن سربال
لا اكل الحيوان الدهر ما شرة   اخاف من سوء افعال واقوال
واعبد الله لا ارجو مثابته   لكن تعبد اكرامٍ واجلال
اصون ديني عن جعل اوامله   اذا تعبد اقوام باجعال

سادسها حكي ابن خلكان في تاريخه ان شهاب الدين السهروردي
المقتول بحلب كان بارعا في اصول الفقه اوحد اهل زمانه في العلوم
الفلسفية وكان يعرف بعلم السيميا حكي عن بعض فقها العجم انه
كان في صحبته وقد خرجوا من دمشق قال فلما وصلنا الي القابون
لقينا قطيع غنم مع رجل تركماني فقلت للشيخ يا مولاي نريد من هذه

الغنم راسا ناكله فقال لي معي عشرة دراهم خذوها واشتروا بها
راس غنم وكان هناك تركماني اخر فاشترينا منه بالدراهم ومشينا
فلحقنا رفيقه وقال ردوا الراس وخذوا اصغر منه فان هذا
ما عرف يبيع لكم فتقاولنا نحن واياه فلما عرف الشيخ القضية قال
لنا خذوا انتم الراس وانا اتفق معه وارضيه فتقدمنا نحن وبقي
الشيخ يحدثه ويطيب خاطره فلما بعدنا قليلا تركه وتبعنا
وبقي التركماني يمشي خلفه ويصيح وهو لا يلتفت اليه فلما لم يكلمه
لحقه وقبض على يده اليسرى وقال تروح وتخليني واذا بيد الشيخ
قد انخلعت معه من عند كتفه وبقيت في يد التركماني فتحير في امره
ورمى اليد وخاف فرجع الشيخ واخذ اليد بيده اليمنى ولحقنا
وبقي التركماني راجعا ورآه وهو يلتفت اليه حتى غاب عنه فلما
وصل الينا الشيخ راينا في يده منديلا لا غير سابعها حكى الحكيم ابراهيم
ابن ابي الفضل بن السهروردي هذا ايضا انه كان يعرف علم السيميا
وله في ذلك خوارق من ورا العقل قال فمن ذلك ما اتفق لي معه
انني خرجت معه انا وجماعة من التلامذة من باب الفرج بدمشق
فبينا نحن بالقرب من الميدان الكبير اجرى بعض الجماعة ذكر علم
السيميا وعجايبه وما للشيخ فيه من اليد الطولى وهو يسمع
فمشى قليلا وقال ما احسن دمشق وهذه المواضع قال فنظرنا فاذا
بعض

من جهة الشرق جواسق عالية متدانية بعضها من بعض مبنية
وهي من احسن شيء يكون من زخرفة الحيطان والسقوف
وبها طاقات كثيرة وشبابيك فيها نساء عليهن انواع الحلي
والاقمشة لم ير مثلهن في الدنيا واصوات مغاني وملاهي واشجار
ملتفة بعضها على بعض وانهار تجري فتعجبنا من ذلك ساعة
ثم غاب عنا وعدنا الى رويتنا ما كنا نعرف من الدور الا انني كنت
عند روية ذلك الامر العجيب كاني في سنة خفيفة ولم يكن ادراكي
كالحالة التي اتحققها منه الباب الرابع في بيان كون
مولانا السلطان سابع من جلس على سرير الملك من اخوته وذكر
من ولي الملك من الترك من اول دولتهم الى يومنا هذا مختصرا اقول
اخر ملوك مصر من بني ايوب الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح
ايوب وكانت مدة مملكته احدى وسبعين يوما ثم قتل وكان
السبب في قتله انه لما حضر من حصن كيفا بعد موت ابيه واتفقوا
على قتله ودخلوا عليه وفي ايديهم السيوف مجردة فهرب الى برج
خشب كان في خيمته وغلق عليه بابه فرموا فيه النار فاحرقوه
فخرج من البرج وهرب الى البحر فادركوه وضربوه بالسيوف فرمى نفسه
فتبعوه وقتلوه في البحر طريحا غريقا قتيلا وذلك يوم الاثنين

سادس عشرين المحرم سنة ثمانية واربعين وستمائة قال
القاضي شهاب الدين بن فضل الله ثم بعد ذلك اتفق الامرا وسلكوا
ام خليل سرية الملك الصالح واسمها شجرة الدر وحلفوا لها وتحلفوا
جميع العساكر المصرية والشامية ورتبوا الامير عز الدين ايبك التركماني
اتابك العساكر ثم انها تزوجت بايبك المذكور وكان مملوك زوجها
الملك الصالح وخلعت نفسها من المملكة وسلمتها اليه في اخر
ربيع الاخر من السنة المذكورة وكانت مدة تمليكها ثلاث شهور
فتسمي الامير عز الدين بالتركماني بالملك المعز واستقل بالملك من
التاريخ المذكور فكان اول من ملك الملك من الترك فبقي في الملك
الي ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستماية ثم خنق في الحمام وكان
السبب في ذلك انه خطب بنت بدر الدين لولو صاحب الموصل
لنفسه فبلغ زوجته شجرة الدر فتغيرت عليه وتغير عليها
وكرهها لانها كانت تمن عليه بانها هي التي ملكته مصر وتامر وتنهي
وسلمت اليه الخزاين والاموال وكانت تتصرف في مملكة مصر وتامر
وتنهي ومنعته من الاجتماع بزوجته التي هي ام ولده نور الدين
علي الزمته بطلاقها وغير ذلك فلما تمكن الغيظ منه نزل الي مناظر اللوق
واقام بها اياما فبعثت اليه من حلف عليه وتلطف به وسكن
غيظه فطلع ودخل الحمام ليلا فدخلت عليه ومعها خمس خدم فاخذ
بعضهم بانثييه وبعضهم بخناقه فاستغاث بشجرة الدر فقالت
لهم اتركوه فاغلظ لها بعضهم في القول وقال متى تركناه لا يبقي عليه
ولا علينا ثم قتلوه في التاريخ المذكور وتملك بعده ولده الملك المنصور
علي بن الملك المعز وقبض على شجرة الدر ودخلها الي امه فقتلتها
بالقباقيب الي ان ماتت ورمتها في الخندق عريانة على باب القلعة وبعد
ايام دفنت في تربتها فكانت مدة ملك المعز سبع سنين الا ثلاثة
اشهر واياما ثم ولي الملك بعده الملك المنصور نور الدين علي
فبقي في الملك الي سنة سبع وخمسين فاستولي عليه الملك المظفر
سيف الدين قطز في هذه السنة ونفاه وملك بعده فبقي في الملك
الي ذي القعدة من سنة ثمان وخمسين ثم قتل بمعركة التتر بعين
جالوت ودفن بالقصير ثم ملك بعده الملك الظاهر بيبرس
في الشهر المذكور ودخل مصر واستمر في الملك الي سنة ست
وسبعين وستماية ثم توفي في دمشق في سابع عشرين المحرم وتولي
بعده ولده الملك السعيد ناصر الدين بركه فبقي في الملك الي سنة
ثمان وسبعين ثم خلع وملك بعده اخوه الملك العادل سلامش
ابن الملك الظاهر وكان صغيرا عمره سبع سنين وعمل نيابة الملك المنصور

سيف الدولة الدين ابو المعالي قلاوون التركي الصالحي النجمي الالفي
وحلفت الامرا معه وذكر اسمه في الخطبة وضربت السكة بوجهين
وجه لسلامش ووجه لقلاوون وتولي الملك الملك المنصور في رجب
سنة ثمان وسبعين وستماية واستمر في الملك الي ان توفي سادس
القعدة سنة تسع وثمانين وستماية فكانت ولايته احدي
عشر سنة واربع شهور وكان قد عهد في حياته الي ولده
الملك الصالح علي وخطب له معه فادركته المنية وهو شاب
فتوفي في حياة ابيه في شعبان سنة سبع وثمانين وستماية
بعد اخته غازية خاتون زوج الملك السعيد الظاهر بشهور
ودفنا عند امهما في تربة بين مصر والقاهرة وللسراج الوراق فيه
قصيدة يمدحه بها منها قوله

لقد عف في سلطانه وجلاله فلله ملك فيهما قد تعففا
واغرب في تصنيف افعاله التي روينا بها عنه الغريب المصنفا

ثم ملك بعده الملك المنصور ولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل
في ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستماية واتفق انه خرج
الي الصيد ونزل بارض الحمامات فلما كان وقت العصر وهو بترجه
حضر اليه نايب السلطنة وجماعة من الامرا فاحاطوا به ولم يكن
معه

معه سيف ولا احد من مماليكه فبادر اليه بيدرا وضربه بالسيف فقطع
يده فصاح عليه حسام الدين لاجين وقال له من يريد الملك تكون هذه
ضربته وضربه علي كتفه ضربة سقط بها الي الارض وتركوه في البرية
طريحا

فلا تعد لا يا صاحبي علي الدهر وعيبا علي صرف الزمان وساعدا
الم تر بالليث الشرا قد تناتشت ذياب الفلا منه ذراعا وساعدا

وفي ذلك في العشر الاول من المحرم سنة اثنين وتسعين وستماية
وكانت مدة ملكه ثلاثين وشهرين وخمسة ايام وكان سن ابن
الثلاثين ثم ملك بعده اخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون
جلس علي سرير الملك في رابع عشر المحرم سنة ثلاثة وتسعين
وستماية ثم بقي في الملك الي المحرم سنة اربع وتسعين ثم خلع
وتولي بعده الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري وبقي في الملك
الي شهر المحرم سنة ست وتسعين وستماية ثم ملك بعده
الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري واقام في الملك
الي ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستماية فهجم عليه جماعة
من الخاصكية في ليلة الجمعة وهو قاعد يلعب الشطرنج مع
احد جلسايه فقطعوه بالسيوف وقتله الله فيلا سره ثم اتفق

الراي علي احضار الملك الناصر من الكرك فعاد الي ملكه واستمر في الملك
من سنة ثمان وتسعين وتسعماية الي سنة ثمان وسبعماية فاضطربت
احوال مملكته وخشي علي نفسه فاظهر انه عازم علي التوجه الي الحج فلما
تاهب الي ذلك وصار في اثنا الطريق عرج الي الكرك واقام بها واثني
عزمه عن المسير الي الحج وذكر ان قصده الانقطاع والتخلي عن
الملك وامر من كان معه من الامرا بالعود الي مصر فلما رجعوا اتفق
الراي علي ان يكون بيبرس الجاشنكيري وهو السلطان وسلار
نايبا عنه فجلس بيبرس علي سرير الملك وسمي نفسه المظفر
فاقام في الملك احدي عشر شهرا فلما كان يوم الثلاثا سادس عشر
رمضان سنة تسع وسبعماية اضطربت احواله وبلغه عن الملك
الناصر انه متوجه من دمشق اليه لانه كان قد توجه اليه جماعة من امرا
مصر الي الكرك وساروا به الي دمشق فانتظم حاله وعزم علي ملكه
فلما تحقق المظفر بيبرس ذلك اخذ جميع ما في الخزاين من الاموال
وتوجه الي اسوان فلما كان يوم الخميس ثاني شوال وصل الملك الناصر
من دمشق الي مصر وجلس علي سرير الملك في اليوم المذكور وتمت احواله
وحلفت له العساكر وانتظم حاله وامر بهادر اص وجماعة من الامرا
بالتوجه الي المظفر بيبرس فتوجهوا اليه واتفق معهم انه يدخل
تحت

تحت طاعة الملك الناصر علي انه يعطيه صهيون واعمالها فلما حضر اودعه
الاعتقال واذاقه النكال فانقلب الدست عليه وراي قبل موته
من دموعه غسله بعينيه وكان مولد الملك الناصر في الساعة السابعة
من يوم السبت سادس عشر المحرم سنة اربع وثمانين وستماية وتوفي
يوم الاربعا تاسع عشر ذي الحجة سنة احدي واربعين وسبعماية
ودفن ليلة الخميس بالمدرسة المنصورية بين القصرين وانزل علي والده
الملك المنصور رحمهما الله وكانت مدة اقامته في الملك في النوبة
الاولي والثانية والثالثة نيفا واربعين سنة وتولي بعده الملك
المنصور ابو بكر ابن الملك الناصر جلس علي سرير الملك يوم الخميس
عشرين ذي الحجة سنة احدي واربعين وسبعماية ثاني وفاة والده
والده الملك الناصر واقام في الملك شهرين واياما قلايل ثم خلع
في العشر الاخير من صفر سنة اثنين واربعين وسبعماية الملك
الاشرف سيف الدين كجك ابن الناصر جلس علي سرير الملك بعد
اخيه الملك المنصور في اواخر صفر سنة اثنين واربعين وسبعماية
وكان عمره يوميذ ست سنين تقريبا فاقام في الملك خمسة اشهر
ثم خلع واعتقل في قلعة الجبل حتي توفي في سنة ست واربعين
وسبعماية في ايام اخيه الملك الكامل شعبان والله اعلم كيف كان

موته الملك الناصر شهاب الدين احمد بن الناصر جلس على سرير الملك
بعد خلع اخيه الاشرف كجك في شهر شعبان وكان قد تقدم من الكرك
فاقام في الملك بمصر اربعين يوما ثم رجع الى الكرك ولم يزل هناك حتى
خلع يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة ثلاث واربعين وسبعماية وقيل
في صفر سنة خمس واربعين فكانت مدته الى ان خلع واقيم الملك
الصالح اسماعيل ستة اشهر اخوه الملك الصالح عماد الدين ابو الفدا
اسماعيل ابن الملك الناصر جلس على سرير الملك بعد خلع اخيه
الناصر احمد يوم الخميس ثاني عشر من المحرم سنة ثلاث واربعين وسبعماية
واقام في الملك الى ان توفي في رابع ربيع الاخر سنة ست واربعين وسبعماية
وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وشهرين واياما اخوه الملك الكامل
زين الدين شعبان بن الملك الناصر جلس على سرير الملك بعد دفن
اخيه الصالح وحلفوا له يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الاخر سنة ست واربعين
وكانت اقامته في الملك سنة وشهرين وفيه يقول الشيخ جمال الدين
ابن نباتة حين ولي الملك في التاريخ المذكور شعر

طلعة سلطاننا تبدت   تكامل السعد في الطلوع
فاعجب لها منه كيف ابدت   هلال شعبان في ربيع

اخوه الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر جلس على سرير
الملك

الملك بعد خلع اخيه الملك الكامل في مستهل جمادى الاخرة سنة سبع واربعين
وسبعماية واقام في الملك الى ثاني عشر رمضان المعظم قدره سنة ثمان
واربعين وسبعماية ثم خلع وقضى الله في امره وكانت مدته سنة وثلاثة
اشهر واحد عشر يوما اخوه مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين
ابو المحاسن حسن بن الملك الناصر جعله الله وارث الاعمار على المنار
جلس على سرير الملك بكرة الثلاثا رابع عشر رمضان المعظم قدره
سنة ثمان واربعين وسبعماية بعد خلع اخيه الملك المظفر وضربت
له البشاير وحضر في البشارة الى الشام الامير سيف الدين استبغا
المحمودي السلحدار فصفقت من دمشق انهارها السبعة واصبحت
جبهتها مباركة الطلعة وانشق زهرها عن تهاني تالف ورقص غصن
بانها وتقصف واخذت الدنيا في الزينة وابرزت من جواهر
اقفاصها مسموعها كل درة ثمينة فخرجت الناس لرويتها بهم صفوف
واقاموا في الفرح سبعة ايام من الليل ما يهجعون وهي الى الان
تدعو لمولانا السلطان بالسنة املاكها ومماليكها وتترقب اخباره
البشارة بعيون شبابيكها خاتمة الباب وسجع طايره
المستطاب اولها اقول قد تقدم ان السلطان الملك الناصر
محمد بن قلاوون والد مولانا السلطان كان ممن فضله الله على من

بغي عليه لانه كان يقول ما اعطي البغي احدا شيا الا اخذ منه اضعافه
وكان يقول ما اجتمع الملك والبغي على سرير الا خلا وكان يقال الملك
الحازم ينال غرضه من عدوه باربعة اشيا اللين والبذل والمكيدة
والمجاهرة بالعداوة في اخر وقت اذا راى الفرصة كما اتفق للملك
الناصر رحمه الله ومثال هذه الاشيا الاربعة التي ذكرتها مثال
الخارج الذي يخرج في بدن الانسان فان عالجه في اول مرة بالتحليل
فان لم ينفع فبالتليين والانضاج فان لم ينضج فبالبط فان لم يكتف
فالكي وهو اخر العلاج ولهذا قيل اخر الطب الكي فان استعمل احد
هذه الاربعة المذكورة مكان الاخر كان ذلك فساد في التدبير بل
يستعمل على الترتيب المذكور والى الله عاقبة الامور ثانيها
الملك الحازم ينال غرضه من اعدائه بالصبر لان الصبر مطية لا تكبو
قال بعض العلما بسير الملوك ان الصحيفة الصفر المعلقة في اعظم
هياكل الفرس كان مكتوب فيها كما ان الحديد يعشق المغناطيس
كذلك الصبر يعشق الظفر فاصبر تظفر ثالثها صبر الملوك
عبارة عن ثلاثة قوى الاولى قوة الحلم وثمرتها العفو الثانية الكلا
والحفظ وثمرتها عمارة المملكة الثالثة الشجاعة وثمرتها في الملوك
الثبات عند الحرب ولا يراد من الملك الاقدام على المكافحة فان
ذلك

ذلك من الملوك طيش وتغرير وانما يراد من الملك ثباته حتى يكون
قطبا للمحاربين ومعقلا للمنهزمين فلهذا انكر بعض اهل زماننا على
سلطان بلادنا ابي الحسن المريني سلطان المغرب رحمه الله لانه كان يقتحم
الهيجا بنفسه ويلحق في الحرب بيومه بامسه فهو وان كان فارسا كرارا
وخلص بقايم سيفه مرار فانه ليس المخاطر بمحمود وان سلم رابعها
بزرجمهر علامة الصبر بالامور المستصعبة الحافظة على الصبر
وملازمة الطلب وكتمان السر ومن كلام الحسن البصري جربنا
وجرب المجربون فلم نر شيا انفع وجود ان الصبر ولا اضر فقده
به يداوى الامور وصولا يداوى بغيره خامسها قال علي كرم الله
وجهه اوصيكم بخمس لو ضربتم اليها اباط الابل كانت لذلك اهلا
لا يرجون احدكم الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحين احدكم اذا
سيل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ولا يستحيي احد اذا لم يعلم الشي
ان يتعلم وعليكم بالصبر فانه من الايمان كالراس في الجسد ولا خير
في جسد بلا راس معه ولا في ايمان لا صبر معه سادسها عن عايشة
رضي الله تعالى عنها قالت لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال الحارث
ابن اسد المحاسبي لكل شي جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر
العقل الصبر ومن كلامهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر وما احسن قول

بعضهم

اذا حل بك الامر فكن بالصبر لواذا
والا فاتك الاجر فلا هذا ولا هذا

سابعها قال ابو العينا كان لي خصومة مع ظلمة فشكوتهم الى احمد
ابن ابي داود وقلت قد تظافروا علي وصاروا يدا واحدة فقال يد الله
فوق ايديهم فقلت ان لهم مكرا فقال ولا يحيق المكر السيء الا باهله
فقلت هم كثير فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين

في ذكر طرف يسير من سيرة
مولانا السلطان وسيرة اخوته وابيه وعمته الملك الصالح والاشرف
وجده الملك المنصور اقول الملك المنصور قلاوون تسلطن
بعد خلع الملك العادل كتبغا بن الملك الظاهر وصفاته من بطانة
الباطن والظاهر فتصرف في البلاد عرضا وطولا وكانت له في معرفة
النظر في علم الكشف اليد الطولا وله في ذلك العجايب والغرايب
فهو ممن تجنب المسبع الموبقات واكثر من الفتوح والفتوحات
وكسر التتر سنة ثمانين وترك الفرنج من جيشه في حلقة التعين
وله في القاهرة الاوقاف المبرورة والمدرسة المشهورة والبيمارستان
الذي هو من حسنات الزمان تحتاج اليه الملوك ويفتقر اليه الغني
والصعلوك

٢٦

والصعلوك فهو عون الفقير وجبر الكسير ولا سيما في هذا الزمان
الذي نظر الله اليه وجعل الناظر فيه من اجرى الخيرات على يديه
المقر السيفي صرغتمش راس نوبة الملكي الناصري

اميرٌ محكم التدبير طب   ملي بالطعام وبالطعان
خبير باللغات ومن علاها   سليل الترك يوفي باللسان
اتابك عسكر الامرا ببدو   لنا ابنه به قبل العيان
له وجه انار البدر منه   فمنه تستمد النيران
حكاه البدر في حسن ولكن   يفوق البدر باثنتين الحسان
وقد تقارب الوصفان جدا   وموصوفهما متباعدان
كما بين الثرى ثم الثريا   كما بين الرعان الى الجنان
لعارضه الياني برق وبل   رعاه الله من برق يماني
فكم اجلا به ظلمات خطب   وجاء بالضيا بما كفاني
دمشقي النجار عزيز مصر   بمان الجود صيني الاواني
ترى الرمدا اذا ما شاهدوه   ضيا في العيون وفي العيان
فكم قرت لهم عين واضحى   لناظر كل عين ناظران
بسابق فضل هذا قول هذا   فكل سابق بالخير ثاني
فهذا بالسياسة والايادي   وهذا باليدين وباللسان

هذا مع ما انشاه المقر المذكور رضي الله عنه من عظايم الامور من المدرسة العظيمة علي مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان ثابت رضي الله عنه فانشاها الله احسن الانشا وامست مدرسته تنتسب الي ابي حنيفة وفقه اصلها ثابت وفرعها في السما فلا غرو اذا حوت لساكنيها سكينة وسمتا واصبحت بطريقة الشيخ قوام الدين في العلم لا تري فيها عوجا ولا امتا فهو خادم السنة الشريفة والحبر الذي لو ادرك الصدر الاول لقيل ابو يوسف ابو حنيفة فالله تعالي يتقبل دعا القاعدين بها للواقف ويضاعف حسناته مضاعفة الجنة والله يضاعف وعنها قلت به فضل علي الاقران ما بانه في الاغصان فضل البان

قد انبت الترجيم في محرابها　　زهر الدر قلايد العقيان
فكانه كسري انوشروان قد　　وضعوا عليه التاج في الايوان
لو لم تثبت وابو حنيفة شيخها　　ما شبهت بشقايق النعمان
حبر يطوي بمعزكي علومه　　حتي كان الناس في الطوفان
ينهي اليه العلم فهو امامه　　وابو حنيفة الامام الثاني
وغدا له في البحث كل طريقة　　نسبت الي التحقيق والاتقان

الملك الصالح علي الهمه الله حسن العهد معدود من نجبا الابنا

الابنا وانبا النجبا عهد ابوه الملك المنصور اليه واعتمد في تدبير الملك عليه فمات بعد ان خطب له معه علي المنابر ونطقت بمراثيه السنة الاقلام في افواه المحابر وقال فيه محيي الدين بن عبد الظاهر من جملة كتاب كتبه علي لسان ابيه الي بعض النواب ونحمد الله ونتجلد بالصبر المتولية الباطنة والظاهرة وكان غرضنا ان نجعله ملكا في الدنيا فجعله الله ملكا في الاخرة الملك الاشرف خليل كان ليثا هماما وبطلا ضرغاما افتتح ملكه بالجهاد وتمهيد البلاد فقطف الساحل وقطع من اهله الواصل وصاد بفخاخ منجنيقاته عكا وصيدا واعد لحصاراتهم ومبارزاتهم سابقات وعدا لتسور الصور علي اهل صور وهجم البيوت علي اهل بيروت وقال الغرض الا نسي من اهل تهمني فاستطابات السرحين فتحت وتلا بعدها علي قلعة الروم الم غلبت فاقفيا وقاية في الحروب واخذ بثار ابن ايوب ولاسيما حين فتح عكا وذلك ارضها بسنابك خيله دكا فهدم اسوارها واسر ابكارها وقتل علوجها ورعي مروجها ففرح بها المسلمون وانتصروا وقطع دابر القوم الذين ظلموا اي كفروا وكان رحمه الله مع ما فيه من المبادرة حسن النادرة يحب الغربا ويطارح الادبا وفيه يقول ابن عبد الظاهر يصف فضله الباهر ما رايت ولا سمعت بابسط من ذهنه الي فهم وادراك

منه لما يزيل الوهم ولقد كتبت عنه واستكتبت فاعلم علي مكتوب
قط الا وقراه جميعه وفهم اصوله المكتوبة وفروعه لا بل واستدرك
علي وعلي الكتاب وخرج اشيا كثيرة معه فيها الصواب وذلك بحسن تلطف
وتعطف وذلك فضل الله يوتيه من يشا وعظم في نفسه في اخر الوقت
الي ان صار يكتب في موضع العلامة كح اشارة الي الحرف الاول من اسمه
ومنع كتاب الانشا ان يكتبوا لاحد من الامرا والنواب الزعيمي وكان يقول
من زعيم الجيوش غيري وكان يوخذ علي حمل الحمل من القلاع خمسة
دراهم مسكا في باب الجابية في دمشق فاول ولايته وردنا منه مسامحة
باسقاط ذلك وبين سطور الرسوم بخطه بقلم العلامة ولتكشف
عن رعايانا هذه الظلامة ونستجلب الدعا لنا من الخاصة والعامة
وازرق الصبح يبيد وقبل ابيضه واول الغيث قطر ثم ينهل واليه
تنسب الاشرفية التي بقلعة الجبل المحروسة التي هي الان كنانة الله
في ارضه ومستقل سنة العدل وفرضه والسر في السكان لا في المنزل قد
اصبحت علي وجوه خدامها للحسن اشراط ولاذان شرافاتها بين الخو النجوم
بمصاعدها فالزهر ازهارها وجداول نهر المجرة انهارها والبروج قصورها
وهالة القمر سعدها والسعود احسنها وفريقها وسهيل الي صلة الارزاق
طريقها وحاجب الشمس اميرها وشيخوا شيخ رايها ومشيرها
شيخوا اخا خيراتها واجارها وعلا بهمته سهيلا جارها
شيخوا

شيخوا فتي الفتيان سحب نواله ارخت عليه من الحيا ازارها
شيخوا بسيف البرق خلف جياده تجري ولكن لا يشق غبارها
شيخوا شاجلة صوارمه التي حصدت بها اعداوه اعمارها
شيخوا تخاف الاسد منه فاصبحت مصر وقد اخلت به اوكارها
شيخوا علت درجاته بمآثره علت النجوم وحدثت اخبارها
شيخوا فتي الفتيان انجب الوغا اطفا فوارسها واضرم نارها
فلله ما بناه من الجامع الذي هو لانواع المحاسن جامع
ومدرسة للعلم فيها مواطن فشيخو بها فرد واثاره جمع
لمن بات منهم في القلوب بهاية فوافقها الليث واشبا خاشع
فذاكرتها المواهب وسلك فيها بجمع الايمة الاربعة احسن المذاهب
فلا زاح سعادتهم العلل وشرح الفقها بالصوفية يجمع بين العلم والعمل
فاجرها عند الله افضل وذاتها الشيخ اكمل وكيف لا وهو شيخ الي سبل
الرشاد مسلك وطريقه في العلم ما لا يجهل شيخ يحسن شروحه
وبيانه ما بات بالمفتاح باب مقفل شيخ بحر في العلوم فما راي
بحر الشيوخ لوارديه اجهل شيخ عليه من المهابة رونق
كالبدر لكن وجهه متهلل شيخ له في الطالبين مسايل
في العلم من ليس بسال يسال شيخ تقدم في العلوم لانه

ان عد ارباب الفضايل اول   ما قيل هذا كامل في ذاته
الا وقلت الشيخ عندي اكمل

فالله تعالى يشيد اركانه ويعيد سلطانه ويبسط ظله الظليل
ويكافيه عن حوض السبيل بالسلسبيل ليصبح بلجا الظمان في امان
ويدخل الجنة مع الصايمين من باب يقال له الريان

السلطان الملك الناصر محمد كان مليحا مهابا وجودا وهابا له
قوة بطش وباس ومهابة في قلوب الناس ثم حلت اسطر الدهر
وجرى ذكره من النيل الى ما وراء النهر فانتشر ذكره في الافاق
واصبح لذكره نسب عربي في العراق طال ما ضرب مع التتر النصال
وقطع ايديهم وارجلهم واذاقهم النكال وكفى الله المومنين القتال
فهو ممن خدمته السعادة ونال من اعدايه مراده ملك الى ان
مات ما ينيف عن مايتين وستين امير تكن بقنص الشارد ويصطاد
الغزاة وهو قاعد وكان يحب مماليكه ويبالغ في اكرامهم ويتغالى في
محبتهم واثمانهم فكان يبذل في اثمانهم النقود الفضة وينفق
عليهم القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ولله در القايل

فان وجوه الترك والله حاذرها   بدور على امثالها ينفق البدر

فعظموا في ايامه وتحولوا في نعمه فما منهم الا من احسنت
اثاره

اثاره وبنى المدارس والجوامع فانتشر العلم وارتفع مناره وقال

بعض الغنى بغنا يستغنا به   حتى يكون له في الارض اثار

ولا سيما ما انشاه الملك الاشرف الملكي الناصري منجك وزير الديار
المصريه كان كافل الممالك بالمملكة الاطرابلسية الان من الجامع الذي
جمع المحاسن واجتمع بصحنه بحر انهار من ماء غير اسن كم اطلعت زهر
قناديله كما وكم متشبث فيه وانا كنت احب الصالحين ولست منهم على الله
والمرء يصلحه القرين الصالح والخانقاه التي تشرفت من طلبة الصوفية
بالعلم والعمل واصبحت كانها من المنقطعين الى الله في راس جبل
وهي الان مما ذكرت بسكناها اهلي وبلادي ذكرى حبيب واصبح لي بها
بين الصوفية حظ ونصيب فانا وان كنت شيخهم خادمهم على الحقيقة
وسالك الطريق امامهم ولا غرو ان تكلمت على الطريقة

ارى منة التوحيد اعظم منة   على غيظ جهال الورى الشوبية
فاشهد ان الله لا رب غيره   وان رسول الله خير البرية
ومن مذهبي حب النبي واله   واصحابه والتابعين الايمة
وما احتشي في انتحالي دسايسا   فيا ويل من امسى من الحشوية
ولو كان هذا موضع القول اظهرت   بدايع نظمي عنهم كل بدعة
وزيفت قول الملحدين باسرهم   بابيات نظم بالحصون البديعة

تري الزهر فيها مثل ورق حمايمة   وقد اعربت عنا السن العجمية

فيا لها من خانقاه تشرف قناديلها في كل زاويه ويعجز عن وصفها من يجها
صريح الدلائل جاد الراويه فكم فيها للصوفيه من خلوة وكم لنفوس
منادمتها من جلوه فانه يضاعف للواقف والقاعد فيها من الحسنات
ويرفع لباني منارتها الدرجات ويكثر به في احمد صاحب الكوثر ويتوجه
بالصريح يوم العطش الاكبر ويروي سيوفه من دما عدو الدين
المخذول ويتقبل منه دعا المملوك حيث يقوم ويقول

اسعدك سبل الاعدا بترك   ولا تترك من الاتراك الاترك
فيا لك الشوك مثل اليوم شبر   فهم لحتفهم اهل الزيغ تبرك
وصلب في جذوع النخل منهم   لبنكسر الصليب اذا ويترك
فكم سكنت من خفقان قلب   اذا ما قيل جيشهم تحرك
فادركت المعالي بالعوالي   ولكن فيض جودك ليس يدرك
وقد اوحشت مصاحبي قالت   تولي اسحبت حللت نحرك

فجودك حولنا طالما [illegible]

الملك المنصور ابو بكر كان ابوه الملك الناصر قد نص عليه
واسند الوصية بالملك اليه وكان يحضره قوصون وبشتاك وجماعة
من الامرا الاتراك فما اختلف عليه اثنان ولا تقيل هذان خصمان
فسار بسيرة حسنة وجلس علي سرير الملك وقد ناهز العشرين
سنة

سنة تولي من ولي وعزل من ادبر وتولي فبسط العدل واكثر البذل
واجزل العطية واحسن الرعية وعامل خاصكية ابيه بالمودة
وبذل فيهم الالوف بعد الالوف فقيل سار ابو بكر بسيرة العمرين
وطار الخبر بعلو همته الي المشرق فلم يكن الا ريثما انشد ساعده
وتمهدت قواعده ان سولت له قرناوه وخانه الدهر وابناوه فنسبوه
بركوب البحر الي الخوض مع الخايضين وشهدوا وما شهدنا الا بما علمنا
وما كنا للغيب حافظين ومن ذا الذي ينجوا من الناس سالما وللناس
قال بالظنون وقيل وقد علم الله تحريف ذلك القول وضعف روايته
من تلك السنة الي هذا العلم تلاحول فلم يكن الا كسنة من النوم او
يوم او بعض يوم اذ اخذ بغتة وقيل كانت ولاية ابي بكر فلتة
فخرج سابع سبعة فاجمع وقد اضربت البلاد وليس لفقده
ولا سيما الخطيب السواد فاعتقل هناك حتف طرفه المنية وكان
ذلك اخر العهد به الملك الاشرف كجك تصرف في الاحكام صغيرا
واوتي علي صغر سنه ملكا كبيرا فكان صابوري الولاية صغيرا الي الغاية
لا جرم انه جري عليه ما يشبه به الوليد وقالت الايام لعكس مراده
انك لتعلم ما نريد فخذل بعد اخيه المنصور وجرت عليه والله غالب علي
امره امور فانتصر اخوه الملك الناصر عليه ونزع الملك بايد القوية

من بين يديه فلم يزل في امر الاعتقال ونية الانتقال الي ان لحق بعمه
الاشرف وقدم علي الجنة واشرف فقرعت لفقده الاسنان قرع الاسنه
وطار خبره في الافاق فهني له عصفور من عصافير الجنة فيا له من
موروث اورث في القلب حزنا وجنا ورد ما جنا عليه وربما عوقب
من لا جني وجرم جره سفهاؤكم

فحل بجانبه العقاب اي والله غيري جني وانا المعاقب فيكم
فكانني سبابة المتندم

وكان قوصون في ايامه مشيد دولته ولسان مملكته فاستولي علي
الممالك وتصرف في الملوك والممالك فلم يمهل قليلا حتي اخذ اخذا
وبيلا فندم ولم ينفعه الندم ولحقت طرابيشه العجم فنهب خانقاته
ونكست لشؤم رايه راياته وبطل زحمه وطبله وخلي من الحواصل
اصطبله فاستغاثه الحسود واصبح عبرة في الوجود وكيف فارق الاهل
والولد واصبح في الاسكندرية ورطبة في صفد ولم يزل بها سابع سبعة
من الامرا المعتقلين الي ان فرغ زيت قنديلهم وامر بخروجهم بعد تعديلهم
فخلا منهم المكان ودخلوا في خبر كان الملك الناصر شهاب الدين
احمد كان اكبر اخوته سنا وارجحهم في العين وزنا فهو ليثهم الغالب
وشهابهم الثاقب وكان ابوهم اخرجه الي الكرك وهو صغير السن
فجعلها

٤ ل

٢١

فجعلها محط رحاله وكنانة سهامه ورجاله فاقام بها مدة وانشابها
انشات عله فلم يزل بها الي ان حدث بالشام مظالم وفعل الفخري مع نايب
دمشق فعل الحية بظالم واتفق بعد ذلك للموصوف ما تقدم ذكره
واشتهر بين الناس امره فعند ذلك خطبت له عقايد الممالك
وطلبه الي مصر من هنالك فحضر بعد تثبت ومهلة ودخل المدينة
علي حين غفلة فجلس علي سرير الملك بعد اخيه المذكور انفا وامر
بقتل سبعة من الامرا المعتقلين باسكندرية ممن كان فيها لغا ولغ بدما يهم
بلسان السنان وقال هي اخذ بثار اخيه وثارات عثمان فلم يكن الا كزورة
حبيب او غفلة رقيب او غمزة حاجب او مشقة كاتب اذ كر راجعا
الي الكرك الذي هو تربته اترابه ومنارة منازل احبابه ركب الاهوال
في زورته مسلم حتي ودعا وكان في اثنا ذلك قد امسك كبيرين
احدهما نايبه وعضاده والاخر عضده وساعده واقبل علي ما كان
عليه من اللهو ايام ولم تتفاقم الامور واختصم زيد وعمرو ونشا الخلاف
وخرجت الخوارج من الاطراف وتمردت بنو نمير وقيل للخير فيهم لا خير
ولا مير فاتسع الخرق علي الراقع وزرع رجاله ابن فتنه المزارع فقطعت
الطرقات وكثرت السرقات واضطربت الاقوال وكثرت الاراجيف والاهوال
ووقع المرج وتجاذبت الاراء وكثر الفساد وخربت البلاد فال الامر الي خلعه

وولاية اخيه الصالح وكان ذلك من اكبر المصالح الملك الصالح عماد الدين
اسماعيل كان من اجود الاخوة واكبرهم مروة ونخوة على شكاله وفيه خبر
وتلاوة انفقت عليه الآراء بعد خلع اخيه الناصر وحلفت له العساكر
ووقفته البشاير بعدل في الاحكام وعامل الرعية بالاكرام فامنت البلاد
وطابت قلوب العباد ولو نزل القضا اليك لنا ما فزا لبولديته الباس وقيل
لخطيب محاسنه ما في وقوفك ساعة من باس وكان اخوه الناصر قد تحصن
في الكرك واخرج منها من اخرج وترك من ترك حذرا من امور الا تصير وانه
ما ليس منجيه من الاقدار فامر بتجهيز العساكر والتضييق عليه واقبل

اليه اي جيش حيل دبر الظلام وكسيت روس الجبال عمايم الغمام
غمام ربما مطر انتقاما فانحط ورقه البلد المريقا

هذا بعد ان رق الثغير وجمع العشير فاخلا البقاع وملا باهل التقاع
البقاع وكثر باهل السويد السواد واكثر من الجاري الذين نعبوا في البلاد
ثم تكاثرت من بعده العساكر واقبل من المصريين كل شجاع مستقل
من رمحه لنا شر غرب في اثرهم الدبابات وزحفت الزحافات
كما انتاهب للقيام واستقبل جمعهم وهم ما هم جم غفير وجمع كثير قد ملأت
شعوب قبايلهم الشعاب واصبحت المصريون منهم والشاميون عدد الرمل
والحصا والتراب واحاطوا بالقلعة احاطة السواد بالناظر واستقلت
منجنيقهم

منجنيقهم عيون مراميها في النظر وتسلقت من سورها على راي العامة
بوجه املط من حجر فعجبوا حين سكن الريح قيادها الهاويه وتجردوا
عما وصف قوادير نقطها وما ادرك ما هيه فسورها على تشاجر في هاد وبروجها
بين النجوم عالية المقدار فالتحم بينهم القتال وتكسرت النصال على النصال
واخذت الفرسان والرماة في التحريك والتسكين وذبح من نزل به القضا من الثقا با
بغير سكين فجن عليهم ظلام الغبار واختلط ونزل على منجنيق الشاميين
من منجنيقها الغضبان الشمط فحمل صنمه القايم جذاذا وقيل فلان او كسر
فقيل شيء من هذا وشيء من هذا فعقع بعد الصحة في العطب ودلت
عليه النار بيدي ابي لهب هذا والجو بظلام القتام ممتلي وبني صبيح
ينشد الا ايها الظلام فانجلي وبالغ تبالغ في القتال والتحريض ويوقع
الناس من محمود شانه في الطويل العريض

فعلى التراب من الدما مجاسد وعلى السماء من العجاج سروج

فلم تزل الاعمار للاوقات تنصرم ونار الحرب من سنة ثلاث الى سنة خمس
واربعين تضطرم فحين اخذت اسواله في النفاد والنفود في النفوذ
واشرف على اخذها لين سهل محاصرها خوذ شكت القلعة الى ربها ودخلت
بكآبة النقوب الى صميم قلبها فنزلت متبرجات الابراج واصبحت عيون
مراميها مصر بعد الاختلاج فجاسوا خلال الديار واقتلعوه من وسط

القلعة بالنهار فلم يسعه والحالة هذه غير التسليم والقدوم بعد ذلك
علي ربٍ كريم وكان قتله في صفر سنة خمس واربعين وسبعماية كما تقدم
الملك الكامل شعبان نحمد الملك الصالح اخاه لابويه فاسند بالوصية
الملك اليه فجلس علي سرير المملكة بعد العشا والتي وعهد اليه الخليفة
كعهود اخيه اللذي ولت وكان شديد الباس صعب المراس ازرق العينين
طويل الساعدين محدد الانف يعد من الرجال بالف استماله حب المال واتعب
من ديوانه وحفظته كاتب اليمين وكاتب الشمال فاخذ القطيعة علي
الاقطاعات واقام لذلك ديوان قايم الذات فوقع في المهالك وانكر الناس
عليه ذلك فخالف العواذل وقدم الاراذل فضعت الامري اشتط واعطي
البازات وارتفع البط وكان قد خرج عليه يلبغا نايب الشام فشق
العصا وخالف امره وعصي وكان ذلك باتفاق منه مع جماعة من المصريين
وبعض الامرا الشلبيين فشق ذلك عليه وامر بتجهيز العساكر اليه
فضرب النفير وجد بالعسكر المسير فحين ضاق بهم متسع الفضا وردوا
البير البيضا رجع منهم الصادر والوارد وحملوا عليه في قلعة الجبل
الجبل حملة رجل واحد فحين راي الفبار ثار وسل الفرار ونزل من القلعة
كجلمود صخر حطه السيل وقال الفرس الادهم حين دفعه في سواده
اهلكه والليل فالتحم بينهم القتال واشتد وسقط بيده فاخذوه
قبضا

قبضا باليد وكان رحمه الله كاخيه الصالح له ميل الي الحسني وحبه الولدات
من النسا طالما احدق السمر بلبه وسكن حب السواد في سويدا قلبه
فخالف فيهم عذل الاشيا وانشد احب لحبها السودان حتي
احب لحبها سود الكلاب
البسها الحب ابها صبغة   صبغة حب القلوب والحدق
ومن احسن ما قيل في هذا النوع وهو قول ابن قلاقس حيث قال
رب سودا وهي بيضا معني   نافس المسك في اسمها الكافور
مثل حب العيون يحسبه الناس سوادا   وانما هو نور
وقال احمد بن بكر الكاتب
يا من فوادي بحبها مستهام لا يزال   ان كان لليل بدر فانت للحسن خال
وقال اخر
ورب سودا تجلي لحسنها الظلمات   اذا يقولون فيها وكلها حسنات
وقال اخر
وسود الادم اذا تبدت   تري ما النعيم جري عليه
راها ناظري وصبا اليها   وشبه الشي منجذب اليه
وقول الاخر
غصن من الابنوس ايدي   من مسك دارين لي ثمارا
ليل نعيم اظل فيه   للطيب لا اشتهي نهارا

وقول الاخر

يا اسود بسيح في بركة   فعت الوري حسنا واحسانا
كنت بجد الحسن خالا وقد   صرت لعين العين انسانا
علقتها سودا مصقولة   سواد عيني صفة فيها
ما انكسف البدر على تمه   ونوره الا ليحكيها
لاجل ذا الازمان اوقاتها   مورخات بلياليها

(وتعوض اصابع)

الملك المظفر حاجي جلس على سرير الملك بعد اخيه المذكور

وجرت عليه من بعد الاسود امور هذا بعد ان امر ونهي ونهر وصفت له الايام وعند صفو الليالي يحدث الكدر فلم يزل ناعم البال خلي البلبال الى ان امسك جماعة من الامرا واولاد الامرا فروع الصغير وقتل الكبير فعامل الناس بالجزر والمد وتجاوز فيهم ذباب سيفه الى الحد فحام حمام الحمام وذهبت بقية القوم الكرام فلم يبق الا من حلت من الظبا لما سقيتها والثري النواهد فلما بلغت الروح التراقي وعمل عامل سيفه حباب الباغي سلب القرار وطلب الثار واخذ مشير القوم في تحريضهم وخرجوا الى قتال بعضهم وخضبهم فناهب لقتالهم ونزل من القلعة لترالهم فلما التقا الجمعان اصطلح عليه الفريقان فرنا منه حين دنا منه سهم الاجل وقيل انه لام فيه صيف السيف العدل وكان في خلال ذلك قد اشتغل بالطيور عن تدبير الامور واشتهي عن الاحكام بلعب الحمام فجعل السطوح داره والشمس سراجه والبرج مناره فاطاع سلطان هواه وخالف من نهاه فخالف في المرا وانتصب بكلام الوشاة على الاغرا بكلام الوشاة الاكلام وحمام الاراك الاحمام اي واسه وما اظرف قول البغادره مواليا

حميمان اراك الدوح ما انت   يا ورقة زاد عنا بي كلما غنت
هذا وانت ازلجا فلو كنت   مثلي فوادي واسم الله ما غنت

وقال اخر

ولقد الفت على الاراك حمامة   تبدي فنون النوح في الافنان
ساويتها لما تساوينا ضنا   كل ينوح على غصون البان

وقال المجنون

ولو لم يبرحني الراعون لراعني   حمايم ورق في الديار وقوع
تناوحن فاستبكين مكان ذا هوي   نوايح ما يجري لهن دموع

وقال السراج الوراق

ورقا ارقني نواح لها   كمثل ما لي من فوادي صريع
تنوح بالسر واكتم اسا   ودمع عيني لم يزل مذيع
كنا تقاسمنا الهوي بيننا   فمنها النوح ومني الدموع

وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

نسب الناس للحمامة حزنا ... وارها في الحزن ليست هنالك

خضبت كفها وطوقت الجيد ... وغنت وما الحزين كذلك

وقال الصفي الحلي رحمه الله تعالى

وبشرنا بعوفا النيل ساجعة ... كانها في غدير الصبح قد سبحت

مخضوبة الكف لا تنفك لابعة ... كان افراخها في كفها ذبحت

ولغيره

حمام الاراك الا فاخبرينا ... لمن تندبين ومن تنعيينا

فقد شعفت بالنوح منا القلوب ... وابكيت بالندب منا العيونا

تعالي نقم قابينا للهموم ... ونعدد اخواننا الظاعنينا

فنسعدكم وتسعدننا ... فان الحزين يواسي الحزينا

وحكي ان الامام فخر الدين الرازي كان جالسا يتكلم في بعض مجالس علمه فبينا هو كذلك واذا بباز يتبع حمامة ولم يزل خلفها حتي القت نفسها علي الامام ودخلت في كمه فانصرف عنها البازي فتعجب الناس لذلك وكان شرف الدين بن عنين حاضرا فقام وانشد ابياتا منها قوله هذين البيتين

جات سليمان الزمان حمامة ... والموت يلمع في جناحي خاطف

من

من نبا الورقاء ان محلكم ... حرم وانك ملجا للخايف

فاجازه الامام فخر الدين بالف دينار والله اعلم

السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين ابو المحاسن حسن حسن الذات سعيد الحركات له تهجد وصيام ومحبة في النبي عليه السلام سمت همته من النيل الي السماك الرامح وسار سيرة اخيه اسماعيل فهو بقية السلف الصالح وكيف لا وقد تجنب الاثم وعدل في الادم واصلح بين الذيب والغنم واقتدا بابيه في العدل ومن يشابه ابه فما ظلم وكان بهذا الوصف الطايل احق بقول القايل

لسنا وان كرمت اوايلنا ... يوما علي الاحساب نتكل

نبني كما كانت اوايلنا ... تبني ونفعل فوق ما فعلوا

فلم تزل دولته ما شيه وابهة الملك تقول لمرهبه هل اتاك حديث الغاشيه فبدت لهم كرامات ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات فغاب كالبدر في سحابه ورجع كالسيف المسلول منغرا به محمده فخضعت له الرقاب وطرب بين الظلم وقلعته بسور له باب وانتشى الدهر وابنا الدهر بعيرك راضية عيش الدنيا فازل من القلوب الوجل واصبح لو شمان مداحه زجل واي زجل وقالت قلعته المحروسة لسحب الارزاق يا سارية الجبل

شعر

غدا سلطاننا ملك البرايا ... رعاه الله يعدل في الرعايا
حوا اصل عدله والده حواها ... واضحى من زوايا الخبايا
فيا ملكا له في الحكم راي ... به يقضي اذا اشتبهت قضايا
لئن امسيت عارٍ من ذنوب ... فكم اكست اناملك العرايا
وان صلت بهم قلبي في الاعادي ... رات ترك الصلاة من الخطايا
فمهلا في التمادي في الايادي ... فقد جزت النهاية في العطايا
ووجهك حاز كل الحسن طرا ... فهل خلقت خلقك من بقايا

خاتمة الباب ويستجمع طايره المستطاب اولها الملك العادل كنوف
يعيون الله محروس بعين الله حكي ان عبد الله بن طاهر قال لبعض
الزهاد كم تبقى هذه الدولة فينا وتدوم ما بيننا فقال له ما دام بساط
العدل والانصاف في هذا الايوان ثم تلي ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم وكان يقال لا سلطان الا برجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بالعمارة
ولا عمارة الا بالعدل وحسن سياسة ثانيها دخل شبيب على المهدي
فقال احذر يا امير المومنين يوما لا ليلة بعده واعدل ما استطعت
فانك تجازي بالعدل عدلا وبالجور جورا وزين نفسك بالتقوى
فانك في الحشر لا تجد احدا يعيرك زينة وسيل عمر بن عبد العزيز
ما كان سبب توبتك فقال كنت اضرب غلاما لي فقال لي اذكر تلك
الليلة

الليلة التي يكون صبيحتها يوم القيامة فعمل ذلك الكلام في قلبي ثم انتبه
قال سليمان بن عبد الملك لابي حازم بم النجاة من هذا الامر قال بشي
قال وما هو قال لا تاخذ شيا الا من حقه قال ومن يطيق هذا
قال من طلب الجنة ومن هرب من النار رابعها حكي الهمداني
ان سوقيا لقي السلطان ملك شاه وهو يبكي فساله السلطان
عن سبب بكائه فقال ابتعت بطيخا بدريهمات لا املك غيرها
فلقيني ثلاثة من الاتراك فاخذوه مني وما لي حيلة سواه فقال
له امسك واستدعى فراشا وكان ذلك اول قدوم البطيخ وقال له نفسي
قد تاقت الى البطيخ فطف في العسكر وانظر عند من شي منه فاحضره
فعاد ومعه بطيخ فقال له عند من رايته قال عند الامير فلان فقال
احضره فحضر فقال له من اين لك هذا البطيخ فقال جاوا به الغلمان
فقال اريدهم الساعة فمضى وقد عرف نية السلطان فيهم فهربهم
وعاد وقال لم اجدهم فالتفت السلطان الى صاحب البطيخ وقال
هذا مملوكي قد وهبته لك حين لم يحضر القوم الذي اخذوا متاعك
والله لئن خليته لاضربن عنقك فاخذه بيده وخرج من
بين يدي السلطان فاشترى الامير نفسه بثلاثماية دينار فعاد
صاحب البطيخ الى السلطان فقال له قد بعت المملوك بثلاثماية

نفعك الله او فقد قضيت قال نعم قال فامض مع السلامة خامسها
اقول وكان هذا السلطان لهجًا بالصيد حتى انه ضبط ما اصطاده
بيده فكان عشرة الاف صيد فتصدق بعشرة الاف دينار وقال
اني اخاف الله من ازهاق الارواح لغير مأكلة وصار بعد ذلك كلما
قتل صيدا تصدق بدينار وخرج من الكوفة لتوديع الحاج وشيعهم
بالغرب من واسط فصاد في طريقه وحشا كثيرة فبني هناك
منارة من حوافر الحمر الوحشية وقرون الظبا التي صادها في تلك
الطريق والمنارة باقية الي الان تعرف بمنارة القرون سادسها
اقول وعلى ذكر الصيد حكي ابن قتيبة في طبقات الشعراء ان
كثيرا دخل علي عبد الملك فقال له عبد الملك بحق علي ابن ابي
طالب هل رايت احدا اعشق منك فقال يا امير المومنين لو انشدتني
بحقك اخبرتك فقال انشدتك بحق الا ما اخبرتني فقال نعم
بينا انا اسير في بعض الفلوات اذا انا برجل قد نصب حبالة فقلت
له ما اجلسك ها هنا قال اهلكني واهلي الجوع فنصبت حبالتي هذه
لاصيب شيا يكفينا ويعصمنا من الجوع يومنا هذا فقلت
ارايت ان اقمت معك فاصبت شيا تجعل لي فيه جزءا قال نعم
فبينا نحن على ذلك اذ وقعت ظبية في الحبالة فخرجنا نبتدر
فابتدرني

فابتدرني اليها فحلها واطلقها فقلت له ما حملك على هذا قال
دخلني لها رقة لشبهها بليلى وانشد

ايا شبه ليلى لا تراعي فانني لك اليوم من وحشية لصديق
اقول وقد اطلقتها من وثاقها فانت لليلى ما حييت طليق

سابعها حكى صاحب زهر الاداب ان الملك بهرام جور خرج
متصيدا فعن له حمار وحش فاتبعه حتى صرعه وقد انقطع عن
اصحابه فنزل عن فرسه يريد ذبحه فاذا براع فقال له امسك علي فرسي
وتشاغل بذبح الحمار ودانت منه التفاتة فراى الراعي جوهر عذار
فرسه فحول بهرام جور وجهه عنه وقال تامل العيب عيب وعقوبته
من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سفه والعفو من افعال الملوك
وشدة العقوبة من افعال العامة فلما رجع الى العسكر قال له
الوزير ايها الملك السعيد اري جوهر عذار فرسك مقلعا فتبسم
وقال اخذه من لا يرده وابصره من لا ينم عليه فمن وجد منكم الراعي فلا
يطالبه وعلى ذكر حمار الوحش حكى ابن خلكان ان بعض الامرا
اصطاد حمار وحش في سنة ستين وستمائة فعلجوه فلم ينضج ولا
اثر فيه الوقود ثم افتقدوا امره فاذا هو موسوم على اذنه بهرام جور
قال وقد احضر الي فرايته كذلك وهذا يقتضي ان لهذا الحمار قريبا

من ثمانماية سنة فان بهرام جور كان قبل البعثة بمدة متطاولة
وحمر الوحش نعيش دهرا طويلا

الباب السادس في ذكر اتفاقات

عجيبة واشيا غريبة اتفقت لمولانا السلطان ولبعض اخوته وابيه
وعمه الاشرف وجده المنصور لم يسمع بافرادها منها ولم يسبقني احد الى التنبيه
عنها على هذا الوجه اقول مولانا السلطان نصره الله وافق والده
في سبعة اشيا الاول منها والثاني انه وافقه في اللقب الخاص
بالملوك والعام لانه الناصر ناصر الدنيا والدين ووالده الناصر ناصر الدنيا
والدين الثالث انه ترك الملك وعاد اليه ووالده ترك الملك وعاد
اليه الرابع انه جلس على سرير الملك في المرة الاولى
في رابع عشر الشهر ووالده لما جلس في المرة الاولى كان في رابع عشر
الشهر الخامس انه لما عاد الى الملك جلس على سريره في ثاني
شوال ووالده لما عاد الى الملك جلس على سريره في ثاني شوال وهذا
اتفاق غريب السادس والسابع انه وزر له متعمم ورب سيف
ووالده وزر له متعمم ورب سيف ومولانا السلطان اقام مدة
بلا وزير ولا نايب ووالده اقام مدة بلا وزير ولا نايب ومن
غريب الاتفاق ان الملك المظفر حاجي تولى الملك صغيرا الى
الغاية لان عمره كان خمس سنين واشهر وحاجي لفظ عجمي معناه

بالعربي

بالعربي صغير فكانه لحظ لقبه حال التسمية انه يلي الملك وهو صغيرا
ومن غريب الاتفاق ان اخاه الملك الكامل شعبان كان قد حبس اخاه
المظفر وضيق عليه واراد ان يبني عليه حايطا فاتفق انهم مدوا
له السماط على انه ياكل وجهزوا طعام اخاه حاجي اليه لياكله في السجن
فلم يكن الا كلمح البصر ان خلع الكامل ودخل اكل طعام اخيه في السجن وخرج
حاجي فجلس على سرير الملك واكل طعام السماط فسبحان مقسم الارزاق
الفعال لما يريد ومن غريب الاتفاق ان بعض الامرا كان السبب
في قتل الملك المنصور ابي بكر بعد اخراجه سابع سبعة من اخوته
الى قوص وهم المنصور المذكور واخوه رمضان ويوسف وشعبان
وحاجي واسماعيل وحسين قدم الناصر احمد من الكرك وتولى الملك
امر بقتل الامير المشار اليه لانه سابع سبعة من الامرا المعتقلين
معه في سكندرية وهم قوصون وبرشبغا والطنبغا نايب الشام
وغيرهم ومن غريب الاتفاق ان الملك الناصر محمد ابن قلاوون
لما عزم على التوجه من دمشق الى مصر وكان المظفر بيبرس هو
السلطان يوميذ فلما بلغه حركة الناصر وتوجه اليه في عسكر الشام
وجماعة من امرا مصر الذين تغزوا اليه اضطربت احواله وخلع
نفسه من الملك في الساعة التي ركب فيها السلطان الملك الناصر

من دمشق وذلك في الساعة الثانية من النهار يوم الثلاثا وهذا من غريب
الاتفاق فكانت هذه الساعة التي ركب فيها الملك الناصر كما يقال
ساعة سعد ومنها استمر في الملك الي ان مات علي فراشه في التاريخ
المذكور ومن غريب الاتفاق ما حكي عن الاشرف فانه كان جالسا في بعض
الايام في الميدان والقرا بين يديه يقرون القران وكان والده المنصور
قلاوون يحاصر طرابلس فقال نصر الله نصره في هذه الساعة
اخذت طرابلس وشاع منه وذاع وملا الافواه والاسماع فلم يمض
الامدة مسافة الطريق حتي وردت الاخبار بفتح طرابلس في الساعة
المذكورة فكان كما قال وذلك الامر كشفه الله لذهنه الشريف
واطلعه عليه لان الملوك نقية الاذهان وحكي ابن عبد
الظاهر رحمه الله ان الشيخ الامام شرف الدين الابوصيري راي في منامه
قبل مسير الملك الاشرف الي حصار عكا في شهر شوال سنة
تسع وثمانين وكان قايلا ينشد شعر

قد اخذ المسلمون عكا   واشبعوا الكافرين صكا
وساق سلطاننا اليهم   خيلا تدك الجبال دكا
واقسم الترك منذ سارت   لا تركوا للفرنج مسلكا

فاخبر بذلك جماعة شهدوا بصحته فسار الملك الاشرف اليهم

في

في اثنا ذلك ففتحها الله علي يديه فكان الامر كما قال ولم يترك في بقية
الساحل ملكا واستمر ذلك الي يومنا هذا وفيه يقول القاضي محيي الدين
ابن عبد الظاهر

يا بني الاصفر قد حل بكم   نقمة الله لا تنفصل
ترك الاشرف في ساحلكم   فابشروا منه بصفع متصل

وقال محمد بن غانم فيه وفي السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمهما الله
تعالي

مليكان قد لقبا بالصلاح   فهذا خليل وذا يوسف
فيوسف لا شك في فضله   ولكن خليل هو الاشرف

ومن غريب الاتفاق ما حكي عن وزيره الصاحب شمس الدين بن
السلعوس وذلك انه لما صارت اليه الوزارة وتمكن منها ارسل يطلب
اقاربه واهل محبته ومودته من الشام فكلهم اجابوا وحلوا ابوابه الا شخصا
واحدا من اقاربه فانه خاف علي نفسه ولم يوافق علي الحضور من الشام
بل كتب اليه هذه الابيات

تنبت يا وزير الارض واعلم   بانك قد وصلت الي الافاعي
وكن بالله معتصما فاني   اخاف عليك من نهش الشجاع

فاتفق كما ان الملك قتل وعمل الشجاعي وزارة اخيه الملك الناصر وهكذا

وامسك ابن السلعوس وجمع اقاربه واصحابه واذاقهم النكال ولم يزل يعاقب
ابن السلعوس حتى مات فكان الامر كما قال ـــ ومن غريب الاتفاق
ما حكي عن المنصور قلاوون انه خرج في بعض الايام الى قبة باب النصر هو
وجماعة من الامرا على سبيل النزهة وضربت له صواوين فخاف على نفسه
واستدعى بخرافين من الرماة البدارية فعرضها وقلبها واختار منها خروفا
من اصحها اعضا وفرق بقية الخراف على الامرا وقال ليقم كل منكم فيذبح
خروفه ويشويه بيده مثل ما كنا نعمل في بلادنا وانا في الاول ثم قام وذبح
الخروف الذي اختاره وشواه بيده فلما انتهى طلب الامرا ليأكلوا معه
ثم اخذ منه الكتف اليمين فاكله واكلت الامرا بقية الخروف فلما اخذ ذلك
الكتف ليأكله جرد لحمه الى ان نقاه وتركه قليلا حتى جف ثم قام وجعل
يلوحه على النار برفق ثم اخرجه ونظر اليه واطال النظر فيه ثم تفل عليه
وشتمه والقاه من يده فساله بعض الامرا عن ذلك بعد ان سكن
غضبه فقال والله حاشاك قال عن هذا الصبي قبجق لا تخرجه الى الشام
فانه متى خرج اليها هرب وعمل فتنة كبيرة فلم يزل قبجق موخرا
عنه بهذا السبب مدة حياته فلما مات وتسلطن بعده ولده
الاشرف ومات وتسلطن بعده لاجين بعد خلع الناصر خرج قبجق
نايبه الى الشام فجرت بينهما وحشة فهرب قبجق الى الشرق وعمل
الفتنة

الفتنة العظيمة بمجي غازان وعسكر كثيرة فجرى على المسلمين ما لم يمكن
شرحه فكان الامر كما قال الملك المنصور وكان قبجق عثره الله في نفسه
فتنه وورد نحو اليوم بشوم وقال القاضي محيي الدين بن فضل الله حكى
لي قبجق بعد رجوعه قال لما تلاقينا نحن وانتم تقدم جيشنا فهم غازان
بالهرب وطلبني ليضرب عنقي قبل ان يرجع لان خروجه كان براي
ففطنت لذلك فلما صرت بين يديه قال لي ايش هذا فغربت له
جوابا ثم قلت له انا اخبر باصحابنا وهم ليس لهم الا حملة واحدة فالان
يصير وبعد كيف ما يبقى قدامه احد منهم فثبت فكان الامر كما قلت
وخلصت من يده فلما انكسرتم انتم اراد ان يسوق عليكم فعلمت انه متى
ساق عليكم ما بقي منكم احد فقلت له الان بصير فان هولا اصحابنا
خبات وربما يكون لهم كمين وقد انهزموا مكيدة حتى نسوق خلفهم
فيردوا علينا ويطلعوا ورانا فوقف حتى ابعدتم عنا فلولا انا ما قتل
منكم واحد ولولا انا ما بقي منكم واحد اقول ـــــ ومما يلي ذكر الملك
المنصور اخبرني جمال الدين يوسف بن يعقوب المقدسي قراءة من لفظه
ونحن نسمع في مستهل ربيع الاول سنة ثلاث واربعين وسبعماية
بدمشق قال اخبرنا قاضي قضاة العساكر المنصورة نور الدين ابو عبد
الله محمد بن محمد بن عبد القادر بن الصايغ الانصاري الشافعي

بقراتها عليه في يوم الجمعة رابع عشرين ربيع الاول سنة
اثنين واربعين وسبعماية بسفح جبل قاسيون بالشام ظاهر
دمشق قال حدثني سيف الدين قليج بن عبد الله المكي المنصوري
وكان من خيار الجند وعقلايهم وادينهم وافضلهم وله
سوالات حسنة في العلوم العقلية والاصول قال بعثني الملك
المنصور سيف الدين قلاوون الي ملك الغرب بتقدمة وهدية
فاقمت عنده فجاات رسالة الي ملك الغرب من بعض ملوك
الفرنج الكبار المعاديين للمسلمين انه بعث يطلب من ملك
الغرب ان يشفع له في تزويج ابنته ببعض بنات ملوك
الفرنج وكان والدها مهاديا لملك الغرب ومدعيا صحبته
وكان الملك المستشفع قبل ذلك معاديا للمسلمين عدوا شديدا
وموذيا لهم ولكن حمله هوي ابنته علي ان بعث الي ملك الغرب
في ذلك فاحتاج ملك الغرب الي ارسال رسول الي ملك الافرنج
بسبب ذلك فقال له وتذهب في هذه الرسالة القضية فتمنعت
فقال هذا فيه مصلحة للمسلمين واري انك تذهب به
فلم يبرح بي حتي ذهبت فاديت رسالته الي ملك الافرنج
وقضيت اربه منه واقمت عند ملك الفرنج مدة فاعجبه حالي
واحبني

واحبني حبا كثيرا وعرض علي المقام عنده مستعتبا علي ديني
دين الاسلام وانا يستطلقني من الملك المنصور فقلت لا سبيل
لي الي ذلك فاجازني واكرمني فلما اردت الانصراف من عنده قال
اريد ان اتحفك بامر عظيم لا يحصل لاحد في هذا الزمان
من المسلمين مثله فتعجبت وقلت ما اين ذلك فاخرج صندوقا
مصفحا بالذهب ففتحه واخرج منه مقلمة من ذهب واخرج
منها كتابا قد زال اكثر حروفه وقد لصق عليه خرقة حرير
فقال اتدري ما هذا فقلت لا فقال هذا كتاب نبيكم محمد الي جدي
قيصر وما زلنا نتوارثه ملكا بعد ملك الي الان وكل ملك كان
عنده حفظه وقد اوصونا جدودنا اجدادنا من الملوك انه
ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا وان هذه الوصية
متلقاة من جدنا قيصر فنحن نحفظ هذا الكتاب غاية
الحفظ ونعظمه غاية التعظيم ونتبارك به ولا نوقف بهذا
احدا من النصاري الاغن ولولا منزلتك علي وكرمك وثقتي
بعقلك ودينك لما اطلعتك عليه فاخذته وعظمته
وتباركت به ولم اقدر علي قراته لتقطع اكثر حروفه من
طول البلا والعتق وجرت بيننا الرسالة مادنة بين

ملك الغرب والملك الذي بعثت اليه يستشفع به مدة وكفي
الله المسلمين شره والله اعلم **خاتمة الباب وسبع**
طايرة المستطاب اولها اقول ومن غريب الاتفاق الذي ينخرط في هذا
السلك ما حكاه ابن كثير في تاريخه البادية والناهية ان رجلا
بمكة نزع ثيابه ليغتسل من ماء زمزم واخرج من عضده
دملجا ذهبا زنته خمسون مثقالا فوضعه مع ثيابه فلما فرغ
من اغتساله لبس ثيابه ونسي الدملج ومضى وصار بعد ذلك
الي بغداد وبقي مدة سنين بعده وايس منه فلم يبق معه
الا شي يسير فاشتري به زجاجا ليكتسب فيه فبينما هو يطوف
به سقط من راسه وتكسر جميعه فوقف يبكي فاجتمع الناس
حوله يتالمون عليه فقال في جملة كلامه والله يا جماعة الخير لقد
ذهب مني من مدة سنين دملج ذهب عند بير زمزم وزنته خمسون
مثقالا ما باليت لفقده كما باليت لتكسير هذا الزجاج وما ذلك الا
ان هذا جميع ما املكه فقال له رجل من الجماعة انا لقيت هذا الدملج
واخرجه من عضده ودفعه اليه فتعجب الناس من غريب هذا
الاتفاق ثانيها حكي الشيخ عماد الدين الكرخي في مثل هذه الحكاية
فيما ذكر ابن السبعي سنة احدي وخمسين وستماية ان رجلا كان
ببغداد

ببغداد وعلي راسه زبادي قاشاني فزلق فتكسرت فوقف يبكي فتالم
الناس له ولفقره وحاجته وانه لم يملك غيرها فاعطاه رجل
من الحاضرين دينارا فلما اخذه نظر فيه طويلا ثم قال والله هذا
ديناري اعرفه وقد ذهب من عام اول فشتمه بعض الحاضرين
فقال له ذلك الرجل ما علامة دينارك قال زنته كذا وكذا
وكان معه ثلاثة وعشرون دينارا فوزنوه فوجدوه كما ذكر واخرج
له الرجل ثلاثة وعشرين دينارا كذلك كان وجدها كما قال حين
سقطت فتعجب الناس لذلك غاية العجب ثالثها حكي
عن الامير عز الدين ايدمر الشتاني الدوادار انه انشد القاضي
تاج الدين احمد بن سعيد بن محمد بن الاثير الحلبي كاتب السر
عند ما خدم بديوان الانشا في الدولة الظاهرية اول اجتماعه
به ولم يكن يعلم اسمه ولا اسم ابيه
كانت مسايلة الركبان تخبرني عن احمد بن سعيد اطيب الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت اذني باحسن مما قد راي بصري
فقال له القاضي تاج الدين يا مولانا ما تعرف احمد بن سعيد قال لا والله
قال المملوك احمد بن سعيد فتعجب من غرابة هذا الاتفاق
اقول هذين البيتين المذكورين لابن هاني الاندلسي ورواهما بعضهم

عن جعفر بن فلاح رابعها حكى الشريشي في شرح المقامات
انه كان رجل بالبصرة يعطي ذو النور البصر فينتفع الناس به فمات
فاضر ذلك بمن كان يستعمله فذكر للخليل ابن احمد فقال اله نسخة
فقالوا لم نجدها فقال من انية يعمل فيها قالوا نعم فجمع فيها اخلاطا
قال فجيئوني بها فجعل يشمها ويخرج نوعا نوعا حتى اخرج خمسة
عشر نوعا ثم سال عن جمعها ومقاديرها فعرفه من كان يعالج مثله
فعمله واعطاه الناس فانتفعوا به بمثل تلك المنفعة ثم وجدت
النسخة في كتاب الرجل فيها ستة عشر نوعا لم يهمل الا خلطا
واحدا خامسها حكى ابن خلكان في تاريخه قال اخبرني
بعض الفضلا انه راي في مجموع ان بعض الادبا اجتاز بدار الشريف
الرضي بسر من را وهو لا يعرفها فراها وقد حتى عليها الزمان
وذهبت ببهجتها واخلقت ديباجاتها وبقايا رسومها
تشهد لها بالنضارة وحسن البشارة فوقف عليها متعجبا
من صروف الزمان وطوارق الحدثان وتمثل بقول الشريف

ولقد وقفت على ربوعهم ... وطلولها بيد البلا نهب
فبكيت حتى ضج من لغب ... نضوي ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت ... عني الطلول تلفت القلب

فمر

فمر به شخص فسمعه يقول هذه الابيات فقال هل تعرف هذه
الابيات لمن قال لا والله قال انها لصاحب هذه الدار الشريف
الرضي فتعجبا من حسن الاتفاق ومثل هذه الحكاية

ما ذكره الحريري في درة الغواص في اوهام الخواص ان عبيدة الجرهمي
عاش ثلثمائة سنة وادرك الاسلام فاسلم ودخل على معاوية
ابن ابي سفيان بالشام وهو خليفة فقال له حدثني ما رايت في عمرك
فقال مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتا لهم فلما انتهيت اليهم
انشدت وتغرغرت عيناه بالدموع فتمثلت بقول الشاعر

فبينما المرء في الاحيا مغتبط ... اذ صار في الرمس تعفوه الاعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه ... وذو قرابته في الحي مسرور

فقال له رجل اتعرف من قال هذا الشعر فقلت لا والله قال ان قايله
هذا الذي دفناه الساعة وانت الغريب الذي تبكي عليه ولا تعرفه
وهذا الذي خرج من قبره هو امس الناس به رحما واسرهم بموته
فقال له معاوية لقد حكيت عجيبا سادسها قال ابو اسحاق
ابن خفاجه الاندلسي كنت انا وعبد الجليل ماريين في بعض الفلوات
فراينا راسين من رءوس الافرنج قد قطعا وجعلا على رجم عال فقال
لي هل لك ان تعمل فيهما شيا فقلت في الحال

الا رب اسلانتر رويته وبين اخيه والمزار قريب
انا فابه صلد الدغافهو منبر وقام عليا علاه فهو خطيب
وانشدت

اجارتنا انا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب
فمن لا يزره صاحب او خليله فقد زاره نسر هناك وذيب
فها هو اما سنه فهو ضاحك وها هو اما وجهه فكئيب
يقول حذار الاغترار فربما اناخ قتيل بي ومر سليب

فقلت له انت القتيل وانا السليب فما لبث ان خرج علينا قطعة
من الفرنج فقتل وكنت السليب قال ابن خاقان في قلايد العقيان
عند ذكر هذه الحكاية فما اتم قوله حتى لاح لها قتام كانه اغنام فانقشع
عن قطعة خيل كقطع الليل فما انجلت الا وعبد الجليل قتيل وابن
خفاجه سليب وهذا من اغرب نقول واصدق نقول اقول
ومثل هذه الحكاية ما اتفق لي في طريق مصر وذلك انني كنت قد
انشات مقامة وانا في دمشق سنة اثنين وخمسين وسبعماية
وذكرت فيها المنازل من دمشق الى مصر ووصفت كل منزلة بما
يليق بها فجا منها قولي ثم وصلنا العرايش وقد نفضت غربا به
على الجيف في تلك الروابي فلم نشعر ببني بياضة حتى اصبحوا
حولنا

حولنا محدقين محدقين يقصون الاثر خلفنا فيالله يا للمسلمين ثم اني
لما سافرت صحبتني المقامة المذكورة فلما وصلنا الى المقام المذكور
عند الصباح كما ذكرت اصبح حولنا جماعة من بني بياضة فلما سلم الله
تعالى منهم وكفانا شرهم اخرجت المقامة التي كانت معي واوقفت
عليها رفقتي في الطريق واعلمتهم انني تخيلت وقوع مثل هذا وانا
بدمشق فتعجبوا من غرابة هذا الاتفاق وكان من جملة رفقتي في
في الطريق القاضي كمال الدين بن الصايغ قاضي سرمين الان وفي ذلك
اقول

شاهدت في الرمل اهوالا عجايبها لا تنقضي ما بقي في الارض ديار
من كل شلح غدا طوره عجيبا كانه علم في راسه نار

سابعها حكى سبط ابن الجوزي في مراة الزمان المعتصم ولد سنة
ثمانين ومائة في ثامن شهر منها ومات لثمان عشر ليلة خلت من
رمضان وهو ثامن الخلفا من بني عباس وفتح ثمان فتوحات
ووقف بباب ثمانية ملوك وقتل ثمانية اعدا وكان عمره ثمانية واربعين
سنة وخلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام وخلف ثمان
بنين وثمان بنات وثمانية الف دينار وثمانية الف الف درهم وثمانين
الف فرس وثمانين الف جمل وبغل ودابة وثمانين الف خيمة وثمانية

الاف عبد وثمانية الاف جارية وبنا ثمان قصور ونقش على خاتمه
الحمد لله ثمانية احرف وكانت غلمانه لا تزال ثمانية عشر الف
وطالعه الثامنة من كل شي ويدعى بالثمن والثاني ومن
غريب الاتفاق ما اتفق للمعتصم هذا انه كان قاعدا في مجلس
انسه والكاس في يده فبلغه ان امراة شريفة في الاسر عند علج
من علوج الروم في عمورية وانه لطمها على وجهها يوما فقالت
وامعتصماه فقال لها العلج ما يجي لك الا على ابلق فختم المعتصم
الكاس وناوله للساقي وقال والله لا اشربه الا بعد فك الشريفة
من الاسر وقتل العلج فلما اصبح نادى بالرحيل الى غزوة عمورية
وامر عسكره ان لا يخرج احد منهم الا على ابلق فخرجوا في سبعين
الف ابلق فلما فتح الله تعالى عمورية دخلها وهو يقول لبيك
لبيك وطلب العلج الاسر للشريفة فضرب عنقه وفك قيود
الشريفة وقال للساقي ايتني بالكاس فاتاه بها ففك ختمها
وقال الان طاب الشراب والله اعلم **الباب السابع**
في تفسير ما ورد عنه خطبة هذا الكتاب والباب الخامس
من الاثار النبوية والنكت الادبية وغير ذلك على سبيل
الاختصار قوله فاصبح من الابدال بعد اخوته النجبا فيه
اشارة

اشارة الى قول الكتاني النقبا ثلاثماية والنجبا سبعون
والابدال اربعون والاخيار سبعة والعمد وهم الاقطاب
اربعة والغوث واحد فمسكن النقبا المغرب ومسكن النجبا مصر
ومسكن الابدال الشام والاخيار سياحون في الارض والعمد في زوايا
الارض والغوث مسكنه مكة فاذا جرت للعامة امر ابتهل النقبا
ثم النجبا ثم الاخيار ثم العمد فان اجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم
مسالته حتى تجاب دعوته **قوله** على حين فترة الفترة السكوت
والانقطاع فهو عليه الصلاة والسلام بعث بعد الانقطاع لان
الرسل كانت الى وقت رفع عيسى متواترة **قوله** ونوبي يوم الاحزاب
نصره يوم الاحزاب كانت في غزوة الخندق وهي احد السبع غزوات
وهي غزوة بنفسه النبي وقاتل فيها صلى الله عليه وسلم لانه لم يقاتل
الا في سبع غزوات وهي غزوة بدر واحد والخندق وبني قريظة
والمصطلق وخيبر والطايف **فغزوة بدر الكبرى** كانت بعد
سنة وثمانية اشهر وسبعة عشر ليلة خلت من رمضان
واصحابه يومئذ ثلاثماية وتسعة عشر رجلا وهو عدد قوم
جالوت والمشركون بين السبعماية والالف وكان ذلك يوم
الفرقان يوم التقى الجمعان لان الله تعالى فرق فيه بين الحق

والباطل وغزوة احد يوم السبت لسبع خلون من شوال على راس
اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وفيها كان جبريل وميكائيل يقاتلان
عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم ويساره اشد القتال وكان عددهم
ثلاثة الاف رجل فيهم سبعماية درع ومعهم ماية فرس وثلاثة الاف
بعير وغزوة بني قريظة في ذي القعدة سنة خمس بعد الاحزاب
بستة عشر يوما وفي هذه الغزوة حكم النبي صلى الله عليه وسلم
سعد بن معاذ فيمن سبي من المشركين فحكم فيهم ان يقتل كل من
جرت عليه الموسى وتسبى النسا وتقسم الاموال فقال عليه السلام لقد
حكمت بحكم الله من فوق سبع ارقعة والرقيع السما فعاد صلى
الله عليه وسلم المدينة واحضرهم اخدودا في السوق وجلس صلى الله
عليه وسلم ومعه اصحابه واخرجوا رسلا فضربت اعناقهم وكانوا بين الستماية
والسبعماية واصطفى منهم ريحانة وغزوة خيبر في السنة
السابعة وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر
انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا صباح المنذرين فجميع من قتل من الصحابة بها
رضي الله عنهم سبعة عشر نفرا وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قاتل ايضا بوادي القرى والغابة وبني النظير قوله وانزل عليه
السبع المثاني قيل سميت بذلك لانها سبع ايات بالاجماع وقيل السبع

الطوال

الطوال وهي البقرة الى الاعراف والسابع اهل الانفال وقيل براة وقيل
كلاهما لانه لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل الرحم وقيل السبع المثاني القران
كله لانه سبعة اسباع فسميت المثاني على هذا لما فيها من الثنا على الله
او لما فيها من تكرير القصص والوعد والوعيد فتكون الواو على هذا
القول في قوله والقران معجمة والقران بدل من المثاني وكان السبب
في نزول هذه الاية الكريمة المشار اليها انه جا في يوم واحد من بصرى
واذرعات سبع قوافل اليهود قريظة والنظير فيها انواع الاموال فقال
المسلمون لو كانت لنا هذه الاموال انفقناها في سبيل الله تعالى
وتقوينا بها فنزل ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم
الاية والمعنى هذه السبع المثاني خير من هذه السبع قوافل قوله
على سبعة احرف اي انزل القران العظيم على سبعة احرف فاقرأوا
ما تيسر منه فمن قرا قراءة عبد الله بن مسعود فقد قرا بحرفه ومن قرأ قراءة
زيد فقد قرا بحرفه ومن قرا قراءة ابي ذر فقد قرا بحرفه والحرف
قد يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم وعلى الكلمة الواحدة
ويقع هو والجملة على الرسالة باسرها والخطبة كلها والقصيدة
بكمالها وكذلك الكلمة قال الله تعالى ومن الناس من يعبد الله
على حرف اي طرف من الدين وجانب كذا قاله ابن قتيبة في كتابه مشابه

القران قوله واسري به قال الزهري كان الاسرا بعد بعثته صلي
الله عليه وسلم بسبع سنين وروي عمرو بن شعيب عن ابيه عن
جده انه اسري به ليلة سبع من ربيع الاول قبل الهجرة بسنة وكذلك
قال انس رضي الله عنه قوله سابع سنة خلت من ملك كسري
الملك العادل قال الزمخشري في ربيع الابرار لم يكن بعد ازدشير
اعدل من انوشروان وهو الذي ولد رسول الله صلي الله عليه وسلم
سبع سنين خلت من ملكه وقال ولدت في زمن كسري الملك العادل
وكان غيره من الملوك الاكاسرة ظلمة يستعبدون الاحرار ويستأثرون
عليهم بكل شي فلا يجسر احد منهم ان يطبخ سكباجا ولا يلبس
ديباجا ولا ينكح حسنا ولا يودب ولده ولا يمد الي مروة يده فكانت
حالتهم معهم كما قال مسعدة بن عمرو يامون كما يصطلح للمولي فهو
للعبد حرام قوله فمن اجله السبع المثاني سميت اي كرر ما فيها
من القصص والوعد والوعيد وغير ذلك اعلاما للنبي صلي
الله عليه وسلم بما كان وبما يكون من اخبار الامم السالفة واحوال
يوم القيامة وغير ذلك وهذا علي قول من قال ان المراد بالمثاني
القران كله وهو قول جماعة من المفسرين قوله وفاقرنا التسبيح
الحصا والجنادل لانها بتسبيحها في كفه عليه السلام صار لها فضل
وفخر

وفخر وشرف علي ما سواها وقد ثبت في الصحيح من معجزاته عليه السلام
ان الحصا سبح في كفه ثم وضعه في كف ابي بكر ثم عمر ثم عثمان فسبح
قوله ومنايحه سبع المنايح جمع منيحة وهي الناقة او الشاة تعطيها
غيرك ليحلبها ثم يردها عليك وكان للنبي صلي الله عليه وسلم سبع
اعنز وهي عجزة وزمزم وسقيا وبركة ورشة واطلال واطراف وكانت
ام ايمن ترعاهن وام ايمن هذه هي احدي الاما السبع التي للنبي
صلي الله عليه وسلم وهي سلمى ام رافع وبركة ام ايمن ورضوى وخضرة
وميمونة بنت سعد وريحانة القرظية علي الخلاف ومارية
القبطية قوله واولاده سبع قال ابو بكر البرقي كان جميع ولد النبي
صلي الله عليه وسلم سبع ويقال ثمانية القاسم وبه يكني وعبد الله
واسمه الطيب الطاهر وقيل الطيب غير الطاهر وابراهيم وزينب
ورقيه وام كلثوم وفاطمة وكلهم من خديجة الا ابراهيم فانه من مارية
القبطية التي اهداها المقوقس صاحب اسكندرية الي النبي صلي
الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة ولما ولدت له ابراهيم عليه السلام
عق عنه بكبش يوم سابعه وحلق راسه وتصدق بزنة شعره فضة
علي المساكين وامر بشعره فدفن في الارض ولما مات دفن بالبقيع ورش عليه
الما وقال له الحق بسلفنا الصالح وقال ان له ضيرا يتم رضاعته في الجنة

وقال لو عاش لوضعت الجزية عن كل قبطي ولما مات القاسم ثم عبد
الله قال العاص بن وايل السهمي قد انقطع ولده فانزل الله ان شانيك
هو الابتر قوله وحراسه سبع حراس النبي صلى الله عليه وسلم
سبعة وهم سعد بن معاذ وسعد بن ابي وقاص وعباد بن بشر والزبير
بن العوام وابو ايوب الانصاري فلما نزلت والله يعصمك من الناس
ترك الحرس وجاء ايضا ان ذكوان بن عبد الله بن قيس من جملة حراسه
عليه السلام قوله وضاهاه سبع جاء ان الذين كانوا يشبهون النبي
صلى الله عليه وسلم سبعة وهم الحسن بن علي وجعفر بن ابي طالب
وقثم بن العباس وابو سفيان بن الحارث والسايب بن عبيد
ومسلم بن معتب واياس بن ربيعة بن مالك وهو رجل من اهل البصرة
وجه اليه معاذ وقيل ابن عيينة واقطعه قطيعة وكان انس اذا راه
بكى قوله واحيا سبعا فيها من الموات ببقاء مولانا السلطان محيي العدل
في المسلمين الموات الارض الخراب الداثر غير عامرة قال الطحاوي
هي ما ليس يملك لاحد ولا هي من مرافق البلد وكانت خارجة
البلد سواء قربت منه او بعدت وقيل هي البقعة التي لو وقف
الرجل على ادناها من العامرة ونادى باعلا صوته لم يسمعه اقرب
من في الناس اليه قوله عامل سيوفه العامل من اسما الرماح وانما اراد

به

به هنا اسم الفاعل من عمل يعمل فهو عامل قوله وحرس غرف قاعاته
السبع بملائكة السبع الطباق اراد بها القاعات السبع بقلعة الجبل بناها والده
الملك الناصر قوله واشرق في لياليها من الثريا نجومها السبعة التي تظهر من
الثريا في الغالب سبعة نجوم وجاء ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يرى منها احد عشر نجما وفي كون الظاهر منها الغالب الناس سبعة نجوم
قال بعضهم
خليلي اني للثريا لحاسد * واني على جور الزمان معاند
تلم الثريا شملها وهو واحد * وافقد من احببته وهو واحد

وقال محمد بن عبد الله الكاتب
حكت طبقا فيروزجيا ديمة * نثرت عليه سبع حبات لؤلؤ

وقال التهامي في تشبيه الثريا
وللثريا ركود فوق ارحلنا * كانه قطعة من فروة النمر

وقال ابن المعتز
قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لاكل عنقود

وقال ايضا
كان الثريا في اواخر ليلها * تفتح نور او لجام مفضض

وما احسن قول ابن خفاجة الاندلسي في فرس ادهم
حال في انجم من الحلي مبيض * وقميص من الظلام مكوال

فبدا الليل ملجما بالثريا   وبدا البرق مسرجا بالهلال

اقول هذا التشبيه الذي ماله شبيه والبديع الذي احجل خايل
الربيع فلو حاوله محاوله لم يقر منه بطايل واني ذلك واين الثريا
من يد المتناول وقد ذكرت في الخيل وما قيل فيها من المقاطيع
الحسنة في كتابي الرسوم بالتنويه بمحاسن التشبيه قوله
في معنى رسالتي اسنى المقاصد هي رسالة مطولة كتبت بها الي
السلطان الملك المجاهد ملك اليمن وسميتها اسنى المقاصد
في مدح المجاهد تشتمل على مقاطيع في معنى كافات الشتا السبع
التي لابن سكرة وغير ذلك ومن جملتها قصيدة سبعة ابيات
في مدح السلطان الملك الناصر وهي قولي

لين انسيت من بهواك غيرك   فما احلى على الافواه ذكرك
فقل ما شيت واحكم في البرايا   فكل الناس يمتثلون امرك
فيا من جا يعذل مستهاما   على حب الشمايل ما امرك
ويا من راح يشكو كسر قلب   اري بالناصر السلطان جبرك
فيا ملكا علا عن كل وصف   يقصر عنه هد الله عمرك
رعاك الله من ملك همام   اعز الله بالتاييد نصرك
اشمر بالدعا في الارض ازري   وربي في السما قد شد ازرك

قوله في الباب الخامس في ترجمة المنصور بن ابي بكر الناصر وبذل
فيهم الالوف بعد الالوف كان رحمه الله ملكا معطا حمل اليه من مال بشتاك
واقبغا عبد الواحد ويرسبغا ما يقارب اربعة الاف الف درهم
واكثر فوهبها جميعها لجامكية ابيه الملك الناصر وكان في عزمه
ان لا يغير قاعدة من قواعد الملك المنصور ويبطل ما كان ابوه
يحدثه قوله في ترجمة الاشرف كجك وكان سابور دب الولاية صغيرا
الى الغاية سابور المشار اليه هو سابور ذو الاكتاف ابن هرمز كان
ابوه قد مات وخلفه حملا فوضع التاج على بطن امه فولي الملك
وهو في بطن امه واستقلت الوزرا بتدبير الملك فلما بلغ عمره
ستة عشر سنة قتل خلقا كثيرا من العرب وخلع اكتاف كثير
منهم فقيل له ذو الاكتاف وكان في ايام مملكته قد دخل متنكرا الى
القسطنطينية فصادف وليمة قيصر وقد اجتمع فيها الخاص
والعام فدخل في جملة الناس وجلس على بعض الموايد وكان
قيصر قد امر مصورا ان ياتيه بصورة سابور فلما اتاه بها امر بها
فضربت على انية الشراب من الذهب والفضة فاتي من كان
على المايدة التي عليها سابور بكاس فنظر بعض الخدم الى الصورة
التي في الكاس وسابور مقابل له على المايدة فعجب من اتفاق الصورتين
وتقارب الشبهين فقام الى الملك واخبره بذلك فمثل بين يديه

فساله عن خبره فقال من اساورة سابور وهربت منه لامر خفته فلم يقبل ذلك وامر بقتله فاقر بنفسه فبعد ذلك امر قيصر فعملت له من جلود البقر صفة بقرة وطوبقت عليها الجلود سبع طبقات وادخل سابور في تلك الصورة وتمام حكايته الي ان خلص وعاد الي ملكه في كتاب سلوان المطاع في السلوانة الثانية منه وهي حكاية غريبة مشتملة علي انواع من الحكم والفوايد **قوله** ركب الاهوال في زورته البيت للعلوك فيه اشارة الي سرعة عود السلطان احمد الي الكرك لانه لما جاء الي مصر وجلس علي سرير الملك بعد خلع اخيه الاشرف اقام اربعين يوما وكر راجعا الي الكرك وقيل هذه الابيات

بي من قد زارني مكتتما ... خايفا من كل شي جزعا
زايرنم عليه عرفه ... ورعي السامر حتي هجعا
ركب الاهوال في زورته ... ثم ما سلم حتي ودعا

ومن احسن ما قيل في الزيارة قول الطغرايي رحمه الله تعالى

خبروها اني مرضت فقالت ... اضني طارقا شكي ام تليدا
واشاروا بان تعود فسادي ... فابت وهي تشتهي ان تعودا
واتتني في خفية وهي تشكي ... الم البعد والمزار البعيدا
ورانني

ورانني كذا فلم تتمالك ... ان امالت علي عطفا وجيدا

قوله وكان في اثنا ذلك قد امسك اميرين كبيرين وهما قطلوبغا الفخري وطشتمر حمص اخضر وقد كان استنابهما في مصر واخرج الفخري نايبا الي الشام ثم بعد مضي ايام قلايل امسك طشتمر نايبه في مصر وارسل امسك الفخري في اثنا الطريق قبل وصوله الي دمشق وتوجه الي الكرك وقتلهما هنالك فلم يستحسن الناس منه ذلك لان قتلهما بغير موجب وفي طشتمر حمص يقول بعض اهل العصر

طوي الردا طشتمر بعدما ... بالغ في دفع الاذي واحترسا
عهدي به كان شديد القوي ... اشجع من يركب ظهر الفرسا
ام يقولوا حمصا اخضرا ... فعجبوا بالله كيف اندرسا

وقال فيه شهاب الدين احمد الاطروش بعد عوده من المشرق

لما رجعت الينا ... من شقة البعد والبين
خلتاك تحنوا علينا ... يا حمص اخضر بقلبين

وقال فيه ابراهيم المعمار

اوردت نفسك ذلا ... ورد النفوس المماتة
وكم عليك قلوب ... يا حمص اخضر ملاتة

قوله جم غفير الجم الغفير هو الجماعة الكثيرة من الناس يقال جاوا
جما غفيرا ممدود والجم الغفير اي جاوا بجموعهم الشريف والوضيع ولم يتخلف
منهم احد وكانت فيهم كثرة قوله يعد اللتيا والتي قال الشاعر

ولقد رايت تاني العشيرة بينها وكفيت جانبها اللتيا والتي

وضع اللتيا تصغير تعظيم اشارة الي جميع الانواع من الدواهي
فكانه قال وكفيت جانبها من الدواهي الصغيرة والكبيرة واراب
الصلاح والتابي الفساد قوله احب لحبها السودان حتي احب
لحبها سود الكلاب

هذا البيت لبعض العرب واراد قايله ان محبوبته لما كانت سوداء
احب كل شي اسود من اجلها كما قال ابن شامة وقد عشق علي محبه
سودا

يكون الخال في خد قبيح فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام مشغوف علي من يراها كلها في العين خالا

وقد تقدم من الابيات في هذا المعني ما فيه كفاية وبقي حكاية تتعلق
بالبيت المذكور لا باس بذكرها وهي ان عريبا بفتح العين المهملة وكسر الرا
كانت بارعة الحسن كاملة الظرف حاذقة بالغنا وقول الشعر معدومة
المثل اشتراها المعتصم بالغنا بالف دينار واعتقها وكانت من جوار
المامون وكان يحبها فانشدها مداعبا

انا المامون والملك الهمام علي اني بحبك مستهام
فقالت له يا امير المومنين والدك هارون اعشق منك حيث يقول

ملك الثلاث الانسات عناني وحللن من قلبي اعز مكاني
مالي تطاوعني البرية كلها واطيعهن وهن في عصياني
ماذاك الا ان سلطان الهوي وبه قوين اعز من سلطاني

وزدت ان والدك امير المومنين قدم ذكر جواريه علي نفسه
في شعره وانت قدمت ذكر نفسك علي منزعمت انك تهواه
فقال لها صدقتي الا اني منفرد بحبك وحب الرشيد بين
ثلاث جوار وشتان بين رتبتي المحبين فقالت له اعرفهن
اما الواحدة فهي فلانة كانت المقصورة بحبه والاما الاخريات
فانهما محبوبتان لها فاحبتهما لاجلها وقربهما من قلبه بسببها كما
قال خالد بن يزيد بن معاوية

احب بني العوام من اجل حبها ومن اجلها احببت اخوالها كلبا

وقول الاخر

احب لحبها السودان حتي احب لحبها سود الكلاب

فهذان احبا القبيلتين من اجل محبوبتيهما وعشقا هذين
الوصفين تقربا الي معشوقتيهما وهذا المحب لتذر اميره

فاستحيا منها وعظم وجده بها لما رات فضلها وحسن ادبها
وخطابها وسياتي نظير هذه الحكاية في خاتمة هذا الباب
قوله وخرجوا الي قتاله بعضهم وقضيضهم يقال خرج القوم بعضهم
وقضيضهم قوله سبق السيف العذل هو من امثال العرب يضرب في
في الامر الذي لا يقدر علي رده وحكايته معروفة بين اهل الادب
ومن احسن ما قيل في العذل قول بعضهم

يقول لي العاذل في قوله ... وقوله زور وبهتان
ما وجه من احببته جنة ... قلت ولا قولك قرآن

وقال وهب بن جابر الخزامي

هددتني السلطان فيك وانما ... اخشى صدودك لا مقا السلطان
اهوي الملاحة في الخيل حين وردي ... اخذ الرشا منه الذي بالجانبي
وقلت انا
وعاذل بالغ في عذله ... وقال لي هاج بلبالي
يعارض المحبوب ما تنتهي ... قلت ولا بالشيب والوالي

وقال بلدينا محمد بن العفيف التلمساني

اسرفت في اللوم ولم تقتصر ... وزدت في لومك ياذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها ... وانما المولي كثير الفضول

وقد

وقد عقدت للعزل بابا مستقلا وذكرت فيه اشيا مليحة في كتابي ديوان
الصبابة خاتمة الباب وسجع طايره المستطاب اقولها اقول قد
تقدم الوعد بالاتيان بمثل حكاية غريب وما اشبهها فاقول حكي
ابو الفرج في كتاب الاغاني ان دنانير جارية خالد بن يحيي البرمكي كانت
صفرا مولدة من احسن الناس وجها واظرفهم واكملهم ادبا واكثرهم
رواية للشعر وضروب الغنا ولها كتاب مجرد في الاغاني فلما جري للبرامكة
ما جري احضرها الرشيد وامرها ان تغني فقالت يا امير المومنين
اني اليت ان لا اغني بعد سيدي ابدا فغضب وامر بصفعها فصفعت
واقيمت فاعطيت العود فاخذته وهي تبكي فاندفعت تغني
هذه الابيات

يا دار سلمي بنازح السند ... من الثنايا ومسقط الكبد
لما رايت الديار قد درست ... ايقنت ان النعيم لم يعد

فرق لها الرشيد وامر باطلاقها فانصرفت وهي تبكي اقول
والله معذورة في عدم غنايها وطول بكايها وعنايها لان خالد
البرمكي مولاها كان يتصدق عنها في كل يوم من رمضان بالف دينار
لانها كانت اصابتها العلة الكلبية وكانت لا تصبر عن الطعام
ساعة واحدة ووجد علي حايط بخطها ما صورته النبيك علي اربعة

اقسام الاول شهوة والثاني لذة والثالث شفاء الرابع دوا وحرالي
ايرين احوج من ايرابي حرين وكتبه دنانير جارية البرامكة ثانيها
اخره ومن عجيب ملاابت في موافقات النساما حكي الاصفهاني في كتاب
الاغاني ان هدبة بن خشرم لما امر معاوية بقتله ارسل الي امراته
بالليل وكان يحبها فقال انيني استمتع بك واودعك فاتته
في اللباس والطيب فحدثها وبكي وبكت ثم كان بينهما ما كان فلما اصبح
اخرج من السجن ومضي به ليقتل فالتفت فراي امرته فانشدها

اقلي علي اللوم وارعي لمن رعى   ولا تجزعي مما اصاب فاوجعا
ولا تنكحي ان فرق الدهر بيننا   اغم القفا والوجه ليس بانزعا

فالت زوجته الي جزار فاخذت شفرته فجدعت بها انفها وجاءته
تدمي مجدوعة فقالت له اتخاف ان يكون بعد هذا نكاح قال فرسف
في قيوده وقال الآن طاب الموت فلما ارادوا قتله قال لاهله بلغني ان
القتيل يعقل بعد سقوط راسه فان عقلت فاني قابض رجلي
وباسطها ثلاثا ففعل ذلك حين قتل وهذا من العجايب
وحكي ابو محمد البطليوسي في شرح ابيات الجمل ان هدبة هذا كان
قد قتل زيادة بن زيد فدفعت فيه اكابر قريش سبع ديات
فابي عبد الرحمن اخو زيادة ان يقبلها وكان لزيادة المقتول ابن

لم

لم يبلغ الحلم فقال معاوية ابنه اولي بطلب دمه فليحبس هدبة حتي
يبلغ ابنه فعرض بالدية فحبس هدبة سبع سنين حتي بلغ فدعي الي
قبول الدية فابي الا قتل صاحبه فقتل هدبة ثالثها علية بنت المهدي
كانت من اجمل النسا واظرفهم تقول الشعر الجيد وتصوغ الالحان الحسنة
وجعلت لا تغني ولا تشرب الا اذا كانت معتزلة للصلاة فاذا
طهرت اقبلت علي الصلاة وقراءة القران وكانت تقول ما حرم الله
شيا الا وجعل فيه احل عوضا منه فباي شي يحتج عاصيه وكانت
تهوي غلاما من خدم الرشيد اسمه طل فحلف عليها الرشيد
انها لا تكلمه ولا تسمي اسمه فامتثلت امره في ذلك مدة فاطلع
عليها وهي تقرا في اخر البقرة فلما بلغت الي قوله تعالي فان لم يصبها
وابل فطل فارادت ان تقول فطل فقالت فالذي نهانا عن ذكره امير
المومنين فدخل الرشيد فقبل راسها وعجب من حسن وفائها
وقالت قد وهبته لك طلا ولا امنعك بعدها من شي تريدينه
رابعها قال ابو الفرج الاصبهاني كانت عنان من مولدات اليمامة
بها نشات وتادبت اشتراها الناطفي ورباها وكانت مليحة الشعر
سريعة البديهة تجاري فحول الشعرا وتعارضهم ويعارضونها

فتستقصي منهم دخل عليها ابو نواس يوما فتحدثنا ساعة ثم قال لها قد
قلت ابياتا فقالت هات فانشدها

انلي ايرا خبيثا   لونه يحكي الكميتا
لو راي في الجو صيدا   ارتاحت ميوتا
او راه فوق سقف   لتحول عنكبوتا
او راه جوف بحر   خلته في البحر حوتا

قال فما لبث الي ان قالت

زوجوا هذا بالف   واطلب الالف قوتا
انني اخشي عليه   ان تمادي ان يموتا
بادروا ما حل بالمسكين خوفا ان يموتا
قبل ان ينتكس الدا   ولا ياتي فيموتا

خامسها حكي عن السلطان ملك شاه السلجوقي انه احضر اليه مغنية
فاعجب بها واستطاب غناها فهم بها فقالت يا سلطان اني اغار على
هذا الوجه المليح الجميل ان يعذب بالنار فان الحلال ايسر وبينه
وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعي القاضي وتزوجها
فاقامت في عصمته الي الممات سادسها حكي ان هارون الرشيد

حلف

حلف في وقت انه من اهل الجنة فاستفتي العلما فلم يفته احد
فقيل له عن القاضي ابن السماك الكوفي فاستحضره وساله فقال
له هل قدر امير المومنين علي معصية وتركها خوفا من الله تعالى
نعم كان لبعض الناس جارية فهويتها وانا اذ ذاك شاب ثم اني ظفرت
بها مرة وعزمت علي ارتكاب الفاحشة منها ثم اني فكرت في النار
واهوالها وان الزنا من الكباير فاشفقت من ذلك وكففت
عن الجارية خوفا من الله عز وجل فقال له ابن السماك ابشر فانك
من اهل الجنة فقال هارون ومن اين لك ذلك فقال من قوله
تعالى واما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فان
الجنة هي الماوي فس بذلك سابعها كانت متيم الهاشمية
من احسن الناس وجها وغناوادبا من مولدات البصرة فاشتراها
علي بن هشام وحظيت عنده فاتفق انها غضبت عليه في وقت
وتمادت في غضبها عن رضاها فلم ترض فكتب اليها الاملال يدعو
الي الملال وكل هجر دعا الي صبر وانما سمي القلب قلبا لتقلبه
ولقد صدق عند ذلك العباس بن الاحنف حيث يقول

ما اراني الا ساهجر من ليس   يراني اقوي علي الهجران
ملني واثقا بحسن اخا   ما اضر الوفا بالانسان

فلما قرات الرقعة خرجت اليه من وقتها ورضيت وكتب الوزير
على الى هند المغربيه يستدعيها الى مجلس انس بعد قطيعة
كانت منها شعرا

يا هند هل لك في زيارة فتية نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلبل قد شدت فتذكروا نغمات عودك في الثقيل الاول

فكتبت اليه الجواب

يا سيدا حاز العلا بسيادة شم الانوف من الطراز الاول
حسبي من الاسراع نحوك انني كنت الجواب مع الرسول المقبل

النتيجة التي مدار هذا الكتاب عليها وعين عنوانه ناظرة اليها

في بسط الكلام على ما تقدم ذكره في المقدمة من هذا العدد وتفصيل مجمله وايضاح مشكله ويشتمل ذلك ايضا على سبعة ابواب

الباب الاول في ذكر قصة يوسف عليه السلام وبسط الكلام على ما وقع فيها من هذا العدد فاقول وبالله التوفيق

نظرت في سبعة تفاسير قبل الكلام على قصة يوسف فوجدتها كما اخبر الله تعالى قال بعض المفسرين انما كانت احسن القصص لاشتمالها على ذكر المحب والمحبوب وسيرتهما وقيل لان فيها ذكر الانبيا والصالحين وسير الملوك والمماليك والغلمان

والغلمان والملايكة والشياطين والتجار والرجال والنسا وذكر مكرهن وحيلهن وفيها ذكر التوحيد والفقه والسير التي تصلح للدنيا والاخرة وغير ذلك فمن اول قصة يوسف ما رواه وهب رضي الله عنه ان يوسف راي وهو ابن سبع سنين ان احد عشر غصنا مركوزة في الارض كهيئة الدايرة وانا غصن وثب عليها حتى اقتلعها وغلبها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راي وهو ابن عشر سنين ان احد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له فقصها على ابيه فقال لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا اي يحتالون على هلاكك لانهم يعلمون تاويلها فيحسدونك وكان يعقوب عليه السلام يوثر يوسف بزيادة المحبة والشفقة على اخوته لما يرى فيه من المخايل وكانت اخوته يحسدونه على ذلك فلما بلغهم الرويا تزايد حسدهم له حتى قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة اي جماعة وكانوا احد عشر سبعة منهم من ليا بنت ليان خال يعقوب واربعة من سريتين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين تايبين الى الله تعالى مما جنيتم عليه فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة

الجب قيل هو بير علي ثلاث فراسخ من منزل يعقوب واوحينا اليه قيل
اوحي اليه في الصغر كما اوحي الي يحيي وعن الحسن كان له سبع عشرة
سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك
وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوطانهم لطول المدة المبدلة
الهيات والاشكال وذلك معني قوله تعالي فعرفهم وهم له
منكرون وكان من دعائه حين القوه في الجب كما لقنه جبريل
حين هبط اليه واقعده سالما علي الصخرة لم يضره شيء كما حكاه
الثعلبي رحمه الله وهو هذا اللهم يا مونس كل غريب
يا صاحب كل وحيد يا ملجا كل خايف يا كاشف كل كربة يا عالم
كل نجوي يا منتهي كل شكوي يا حاضر كل ملا يا حي يا قيوم
اسالك ان تقذف رجاك في قلبي حتي لا يكون لي شغل غيرك
وان تجعل لي من امري فرجا ومخرجا انك علي كل شيء قدير فلما
رجعوا الي ابيهم بعد القا يوسف في الجب قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق اي نترامى وتركنا يوسف عند متاعنا اي عند ثيابنا
فاكله الذيب وما انت بمومن لنا اي مصدق لنا لقلة محبتك لنا
وشدة محبتك ليوسف ولو كنا صادقين وجاوا علي قميصه بدم كذب
اي هو كذب لانه كان دم شاة والقاه علي وجهه وبكي حتي خضب
وجهه

وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذيبا احكم من هذا
اكل ولدي ولم يمزق قميصه وعلم بهذا السبب ان الذيب لم ياكله
فاعرض عنهم وقال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله
المستعان علي ما تصفون فلما وصل يوسف الي مصر مع السيارة
الذين التقطوه من الجب وشروه بثمن بخس دراهم معدودة
وباعوه وقال الذي اشتراه من مصر لامراته اكرمي مثواه عسي
ان ينفعنا او نتخذه ولدا اي نتبناه ولذا اذا تدرب مراض الاجر
لانه اي قطفير عزيز مصر الذي اشتري يوسف كان عقيما لا يولد
له فتفرس في يوسف الرشد فما اخطات فراسته ولهذا قيل
اصدق الناس فراسة ثلاثة عزيز مصر حين قال عسي ان ينفعنا
او نتخذه ولدا وبنت شعيب حين قالت عن موسي يا ابت استاجره
وابو بكر الصديق حين استخلف عمر رضي الله عنهما وفي القصة
عن وهب بن منبه لما قدمت السيارة بيوسف مصر دخلوا به السوق
يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتي بلغ وزنه ذهبا ووزنه
فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعماية رطل فابتاعه قطفير
بهذا الثمن وكان قطفير عزيز مصر وكان علي خزاينها والملك يوميذ
بمصر الريان بن الوليد بن ثروان من العمالقة قال وهب واقام يوسف

في دار العزيز سبع سنين حتى بلغ وراودته التي هو في بيتها
عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك وفي هيت سبعة
اقوال للمفسرين ومعناها على قول بعضهم تعال قال الكسايي هي
لغة لاهل حوران وقعت الى الحجاز وقال ابو عبيدة سالت
شيخا عالما من اهل حوران فقال انها لغتهم وقيل معناها
بالقبطية هلم فقال يوسف معاذ الله اي استجير بالله مما
دعوتني اليه انه اي ان زوجك قطفير اكرم مثواي اي منزلي فلا
اخونه في اهله ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه
قال اهل الحقايق الهم همان هم مقيم ثابت وهو اذا كان معه عزم
ونية وعقد مثل امراة العزيز والعبد مواخذ به وهم عارض
ولا ثبوت له وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم
مثل هم يوسف والعبد غير مواخذ به ما لم يتكلم به او يفعله قال
ابن المبارك قلت لسفيان ايواخذ العبد بالهم قال اذا كان عزما
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله تعالى اذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة
فان عملها كتبت له عشر حسنات الى سبعماية ضعف واذا هم عبدي
بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة
وان

وان تركها من اجلي كتبتها له حسنة كاملة فحين استبقا الباب
وتعلقت بقميصه من خلفه فخرقته ووجدا زوجها قطفير
عند الباب ففزعت منه وقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا اي
الزنا ثم خافت على يوسف ان يقتل فقالت الا ان يسجن او عذاب
اليم اي يضرب بالسياط فلما سمع يوسف مقالتها قال هي راودتني
عن نفسي ففررت منها فادركتني فشقت قميصي فجعل العزيز
ينظر مرة الى يوسف ومرة اليها متعجبا متحيرا منهما وكان في البيت
صغير في المهد تحت السرير عمره سبعة ايام فنادى بالاصوات
بلسان بين ايها العزيز ان لك عندي ما انت فيه فرحا وقال كلاما
اخبر الله انه كان قميصه قد من قبل الاية فلما راى قميصه قد من
دبر تبين له خيانتها وبراة يوسف فقال انه اي هذا الصنع من كيدكن
يا معشر النسا ان كيدكن عظيم ثم التفت الى يوسف وقال يوسف اعرض
عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطيين قال
الزمخشري ما كان العزيز الا رجلا حليما قيل انه كان قليل الغيرة
قال الشيخ اثير الدين ابو حيان في تفسيره لهذه الاية الكريمة
وتربة اقليم مصر اقتضت هذا يعني عدم الغيرة ثم قال واين هذا
مما جرى لبعض ملوك بلادنا وهو انه كان مع ندمايه المختصين به

في مجلس انس وجارية تغني من وراء الستارة فاستعاد بعض جلسايه
بيتين من الجارية وكانت غنت بهما فما لبث ان جا براس الجارية
مقطوعا في طشت وقال له استعد البيتين من هذا الراس فسقط
في يد ذلك الرجل المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك
اقول واين غيرة هذا الملك على جاريته من غيرة عبد
المحسن الصوري حين قال

تعلقته سكران من خمرة الصبا ... به غفلة عن لوعتي ونحيبي
ويشاركني في حبه كل ماجد ... يشاركني في مهجتي بنحيب
ولا تلزموني غيرة ما الفتها ... فان حبيبي من احب حبيبي

وقد ذكرت في الغيرة اشيا مليحة في ديوان الصبابة فلما
اشتهرت قصة امراة العزيز مع يوسف قالت نسوة في المدينة
امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه ولا يرضى لها ولا يميل اليها
انا لنراها في ضلال مبين اي هلاك وخسران بين فلما سمعت
بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكا اي هيات لهن مجالس
يتكين عليها في كل مجلس جام عسل واترنج وسكين وقالت يجب
عليكن الا ما اطعتن فتاي العبراني يوسف اذا امرتكن الساعة
فقلن سمعا وطاعة ثم انها زينت يوسف باو فر زينة من الجواهر
واليواقيت

واليواقيت واللباس الفاخر والطيب وقالت اخرج عليهن فلما رانيه
اكبرنه اي رأينه في اعينهن كبيرا وقيل حضن من الدهش قال
ابن عباس امنين وامذين من الدهش وقطعن ايديهن يحسبن انهن
يقطعن الاترنج ولم يجدن الم حز ايديهن لاشتغالهن بحسنه
قال وهب رحمه الله كن اربعين امراة فمات منهن تسعة وجدا
بيوسف وكمدا عليه وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا
ملك كريم نزل علينا من السماء فمر علينا قال عكرمة كان فضل يوسف
على الناس كفضل القمر ليلة البدر على ساير النجوم وقال كعب
الاحبار كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوي
الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين خميص البطن صغير
السرة اذا تبسم رايت النور يخرج من ضواحكه واذا تكلم رايت في كلامه
شعاع الشمس من ثناياه لا يطيق وصفه احد وكان حسنه كضوء
النهار عند الليل وكان يشبه ادم يوم خلقه الله وصوره ونفخ فيه
من روحه وقيل انه ورث ذلك الحسن من جدته سارة وكانت قد
اعطيت شطر الحسن اي نصفه فلما رات امراة العزيز حال النسوة وما تم
عليهن من حسن يوسف قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي في حبه
ثم صرحت بما فعلت من شدة كلفها به فقالت ولقد راودته عن نفسه

فاستعصم اي امتنع وانما صرحت لانها علمت انه لا ملامة عليها
منهن فقد اصابهن من رويته ما اصابها فقلت له اطع مولاتك
واخذن في لومه وتعنيفه علي عدم اجابته الي سوالها فقالت
امراة العزيز ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونن من الصاغرين
فاختار يوسف السجن علي المعصية فقال رب السجن احب الي
مما يدعونني اليه قيل لو لم يقل السجن احب الي لم يبتلي بالسجن
والاولي بالعبد ان يسال الله العافية ذكره البغوي فاستجاب له ربه
فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات
اي الدالة علي براة يوسف من قد القميص وكلام الطفل ليسجننه حتي
حين فاقام فيه سبع سنين وفي القصة انها لما ايست منه
دخلت الي الريان بمصر وكانت ابنة عمه فتضرعت لها فقالت له يا سيدي
ان لي عبدا عبرانيا وانه عصاني ووددت لو اذنت في سجنه لعله تزيل
العصية عنه فاذن لها في حبسه فحينئذ دعت الحدادين وامرتهن
ان يصنعوا له قيدا فقيدته وحملته علي حمار وتودي عليه هذا
جزاء من يعصي سيدته المكرمة وهو يقول هذا ايسر واهون من سرابيل
القطران وشرب الحميم واكل الزقوم وكان قصدها بسجنه استعطافه
لعله يواقعها فلما طالت عليها المدة ارادت تخرجه فجاز وجها العزيز بجعل
بين

بين يدي الملك الريان وقال يوشك لا تخرجه ابدا فندمت علي سجنه
وكانت ترقي علي قصرها وتبكي من العشاء الي الصباح وتقول
ليت شعري يا يوسف انت نايم ام يقظان ليت شعري كيف حالك
فمكث عليه اربع سنين وكان قد دخل معه السجن فتيان اي غلامان
للريان بن الوليد احدهما ساقيه والاخر خبازه وكان الملك قد غضب
عليهما وسبب ذلك ان جماعة من بطانته ارادوا قتله واغتياله
وضمنوا للساقي والخباز مالا جسيما علي ان يسما الملك في طعامه
وشرابه فاجابهم الي ذلك فعلم الملك بالقصة فحين حضر الطعام
والشراب امر الملك الساقي ان يشرب من الشراب فشرب فلم يضره فانه
كان لم صنع فيه شيا ثم امر الخباز ان ياكل من الطعام فامتنع فجرب
ذلك الطعام في دابة فهلكت فحبسها وقتل الخباز كما بينه ان
شاء الله تعالي انتهي وابي فعل هذا الملك من قتله
الخباز وتجربة الطعام المسموم للدابة من فعل الصاحب بن عباد
وذلك انه جلس يوما في مجلس انسه فناوله الساقي كاسا فلما
اراد شربها قال بعض خدامه يا سيدي ان هذا الذي في يدك
مسموم فقال له وما الدليل علي صحة قولك فقال التجربة في الساقي
قال ويحك لا استحل ذلك فقال ففي دجاجة فقال ان التمثيل

بالحيوان لا يجوز ثم امر بصب ما في القدح وقال للساقي لا تدخل داري
بعد هذا ابدا ولم يقطع عنه معلومه حتى مات وكان يوسف لما
دخل السجن قال لاهله اني اعبر الرؤيا فقال له الساقي ايها العالم
اني رايت كاني في بستان واذا انا باصل حملت عليها ثلاثة عناقيد
من عنب فجنيتها وكان كاس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت
الملك فشربها وقال الخباز رايت كان على راسي ثلاث سلال من
الخبز والوان الاطعمة واذا سباع الطير تاكل منه فذلك قوله
تعالى اما احدكما فيسقي ربه خمرا اي عنبا بلغة عمان يدل على ذلك
قراة ابن مسعود اعصر عنبا وسماه خمرا باعتبار ما يؤول اليه فقال
الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله اي
اخبرنا بما يؤول اليه الامر انا نراك من المحسنين اي العالمين الذين
احسنوا العلم فقال يوسف يا صاحبي السجن اما احدكما وهو
الساقي فيسقي ربه خمرا كما راى والعناقيد الثلاثة التي راها
ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يخرج بامر الملك فيعود لما كان
عليه واما الاخر وهو الخباز فانه يصلب والسلال الثلاث
ثلاثة ايام يمكث في السجن ثم يخرجه الملك في رابع يوم فيصلب
فتاكل الطير من راسه قال ابن مسعود فلما سمعا قول يوسف
قالا

قالا ما راينا شيئا وانما كنا نلعب فقال يوسف قضي الامر الذي فيه
تستفتيان اي الذي سالتما عليه ووجب الحكم الذي اخبرتكما به ٦١
رايتما او لم تريا وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال الرؤيا لاول عابر وعنه صلى الله عليه وسلم قال
لا تقصها الا على حبيب او لبيب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال من تشهد على عينيه ما لم تريا في النوم كلف ان يعقد على
بين شعيرتين على جهنم وليس بعاقد ومن استمع لحديث قوم وهم له
كارهون صب في اذنيه الانك المذاب يوم القيامة فوقع بعد مضي
ثلاثة ايام ما ذكره يوسف من صلب الخباز وخلاص الساقي الذي
قال له اذكرني عند ربك اي عند سيدك الملك وقل له ان
في السجن غلاما محبوسا ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه اي
نسي الساقي ان يذكر يوسف للملك فلبث في السجن بضع
سنين على قول الاكثرين قال وهب اصاب ايوب البلاء سبع
سنين ولبث يوسف في السجن سبع سنين وعذب بختنصر
بالمسخ سبع سنين وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال رحم الله اخي يوسف فلولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن
طول ما لبث يعني اذكرني عند ربك فقال له يوسف انتهزت

وكيلا غيري ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا امر نفزعنا الى الناس
قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره واعلم بان الاستعانة بالناس
جايزة في الشريعة الا ان حسنات الابرار سيئات المقربين فهذا وان
كان جايزا لعامة الخلق الا ان الاولى للصديقين ان يقطعوا نظرهم
عن الاسباب بالكلية وان لا يشتغلوا الا بمسبب الاسباب والذي
جربته من اول عمري الى اخره ان الانسان كلما عول في امر من الامور على غير
الله صار ذلك سببا الى البلا والمحنة والشدة والرزية واذا عول
العبد على الله تعالى ولم يرجع الى احد من الخلق حصل ذلك المطلوب
على احسن الوجوه فهذه التجربة قد استمرت من اول عمري الى هذا
الوقت الذي بلغت فيه السابع والخمسين فعند هذا استقر في قلبي
انه لا مصلحة للانسان في التعويل على غير الله واعلم بان الله اذا اراد
شيا هيا اسبابه بدليل انه لما دنا فرج يوسف راى ملك مصر
في النوم سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف
فابتلعت العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد
حبها وسبعا اخر يابسات فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبت
عليها فجمع الكهنة وذكرها لهم وهذا هو المراد بقوله تعالى يا ايها الملا
افتوني في رؤياي فقال القوم هذه الرؤيا مختلطة فلا نقدر على
تاويلها

تاويلها
وتعبيرها وكان ذلك سبب الخلاص يوسف لان الملك لما شاهد
الناقص الضعيف استولى على الكامل القوي فشهدت
فطرته بان هذا ليس بجيد وانه مقدر بنوع من انواع الشر
الا انه ما علم كيفية الحال فيه والشي اذا كان معلوما من وجه
كان مجهولا من اخر عظم شوق النفس الى تكميل تلك المعرفة
وتقوي الرغبة في اتمام الناقص لا سيما اذا كان الانسان عظيم
الشان واسع التمكن المملكة وكان ذلك الشي دالا على الشر
من بعض الوجوه فبهذا الطريق قوي عزم الملك في تحصيل
التعليم فتعبير هذه الرويا وان الله اعجز المعبرين الذين
حضروا عنده عن الجواب وعماه عليهم ليكون ذلك سببا
لخلاص يوسف من تلك المحنة فقالوا وما نحن بتاويل الاحلام
بعالمين فقال الشرابي ان في السجن رجلا فاضلا صالحا كثير
العلم كثير الطاعة قصصت انا والخباز عليه منامين فذكر
تاويلهما فصدق في الكل وما اخطا في حرف فان اذنت لي مضيت
اليه وجيتك بالجواب فهذا هو قوله تعالى وقال الذي نجا
منهما وادكر بعد امة اي تذكر بعد حين انا انبيكم بتاويله
فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان

يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات فان الملك
راي هذه الرؤيا لعلي ارجع الي الناس اصحاب الملك واهل مصر لعلهم
يعلمون فضلك وعلمك فقال يوسف تزرعون سبع سنين
اي ازرعوا سبع سنين متوالية كعادتكم في الزراعة فما حصدتم
فذروه في سنبله لئلا يفسد فهذه السبع بقرات السمان الا
قليلا مما تحصنون اي تخرجون تاكلون فادرسوه ثم ياتي من بعد ذلك
سبع شداد اي قحط جدبة ياكلن ما قدمتم لهن من الطعام
في السنين السبع الخصبة الا قليلا مما تحصنون اي تخرجون للحرث
ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس اي يمطرون
من الغيث وفيه يعصرون من العنب خمرا ومن الزيتون زيتا ومن
السمسم دهنا في قول الاكثرين فلما رجع واخبر الملك بما افتاه يوسف
قال ايتوني بهذا الرجل الذي فسر هذه الرؤيا فقالوا انه في السجن
منذ سبع سنين فقال ايتوني به على كل حال فلما جاء الرسول الي
يوسف وقال له اجب الملك ابي ان يخرج معه وتثبت في الاجابة
لتظهر براة ساحته مما حبس لاجله وقال للرسول ارجع الي ربك اي
الي سيدك فاساله ما بال النسوة اللاتي فرجع اليه واخبره بما قال
يوسف فامر الملك باحضار النسوة اللاتي قطعن ايديهن وسالهن
بما

عن العصمة فعند ذلك قالت امراة العزيز الان حصحص الحق
اي ظهر وتبين انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله
هي راودتني عن نفسي فعند ذلك قال الملك ايتوني به استخلصه
لنفسي اي اجعله خالصا فلما اخرج من السجن دعا لاهله بدعوة
تؤثر بركتها الي يومنا هذا الذي هو سنة سبع وخمسين وستمائة
فقال اللهم اعطف عليهم قلوب الابرار الاخيار ولا تعم عليهم
الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في كل بلد وكتب على باب السجن
هذا قبر الاحيا ومنزل البلا وتجربة الاصدقا وشماتة الاعدا
ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا حسانا
وحمل علي عجلة الملك وهي عجلة تجرها الفيلة فلما وصل
الي باب الملك قال حسبي ربي من دنياي حسبي ربي في خلقه
عز جاره وجل ثناوه ولا اله غيره فلما دخل علي الملك فقال
اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره ثم
سلم علي الملك بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال
لسان عمي اسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له الملك ما هذا
اللسان قال لسان ابائي ابراهيم واسحاق ويعقوب قال
وهب وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان

اجابه فاعجبا الملك امره وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة
ثم اجلسه الملك على سريره وقال له احب ان اسمع تاويل رؤياي
من لفظك فاعاد عليه ما تقدم ذكره ثم قال له اري ان ترفع الزرع
بقصبه وسنبله وتبني له المخازن العظام فيكون القصب
والسنبل علفا للدواب وحبه للناس وتامر الناس في السنين
المخصبة يرفعون الى اهرائك من طعامهم الخمس فيلفيك من
الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها وتاتيك الخلق من
النواحي يمتارون منك فيجتمع عندك من الكنوز ما لا يجتمع
عند احد قبلك فقال الملك ومن لي بتدبير هذه الامور
ولو جمعت اهل مصر جميعا ما اطاقوه ولم يكونوا فيه امنا
فقال يوسف عند ذلك اجعلني على خزائن الارض اني
حفيظ عليم اي حفيظ بما يصل الي من الطعام عليم
بجباية الاموال فوصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما
طلبة الملوك ممن يولون وانما قال ذلك ليتوصل الى امضا
احكام الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما
لاجله تبعث الانبيا عليهم السلام الى العباد ولعلمه ان
احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء
وجه

وجه الله تعالى لا لحب الملك والدنيا فولاه الملك ذلك
وقال انك اليوم لدينا مكين امين اي ذو مكانة ومنزلة امين
على الخزائن ثم ان الملك توجه والبسه خاتمه وقلده بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكلل بالدر والياقوت وروي
انه قال اما السرير فاسند به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك
واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابائي فقال قد وضعته
عليك اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير
وفوض اليه الامر جميعه وكان طول السرير ثلاثون ذراعا وعرضه
عشرة اذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون مقدمة وكان
الملك قد عزل قطفير فهلك بعد عزله بايام فتزوج يوسف
زليخا امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما كنت تريدين
فقالت ايها الصديق ان زوجي كان عنينا لا ياتي النساء وكنت
انا بلغت من الحسن والجمال ما لا يوصف تعتذر اليه بذلك عن
شدة كلفها وحبها له فوجدها عذرا وولدت له ولدين وروي
انه احبها اضعاف ما كانت تحبه اولا فقال لها ما شانك لا تحبيني
كما كنت فقالت لما ذقت حب الله اشغلني عن كل شي وكانت
قد اسلمت على يديه هي والملك وخلق كثير فعدل يوسف في الاحكام

واحبه الخاص والعام وكان يركب في كل سبعة ايام الى الموكب
في ماية الف من عظما قوم فرعون فدانت له الملوك وخضعت
له الرقاب وذلك معنى قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض
اي ارض مصر قال البحتري

اما في رسول الله يوسف اسوة   لمثلك محبوسا على الظلم والافك
اقام جميل الصبر في السجن برهة   فآل به الصبر الجميل الى الملك

وكتب بعضهم الى صديق له

وراي مضيق الخوف متسع الامن   واول مفروح به اخر الحزن
فلا تياسن فالله ملك يوسفا   خزاينه بعد الخلاص من السجن

قال فلما استقر حال يوسف دخلت السنين المخصبة فامر باصلاح
الزرع والفلاحين والزراعة وامرهم ان يتوسعوا فيها
فوق العادة فلما ادركت الغلة امرهم بجمعها ثم بنى لها
الاهرامات فجمعت فيها فضاقت عنها فاوسعت المخازن
ولم يزل يفعل ذلك في كل سنة الى ان انقضت السبع سنين
المخصبة ودخلت السبع سنين المجدبة فوقع الغلا واشتد
بالناس البلا وحصل عندهم من الجوع ما منع الهجوع قال
بعض

بعض الحكما للجوع والقحط سببان احدهما ان النفس تحب
الطعام اكثر من العادة والثاني ان يفقد الطعام فلا يوجد
واجتمع هذان السببان في عهد يوسف فانتهت النسا والصبيان
ينادون الجوع الجوع وياكلون فلا يشبعون وفي القصة لما
دخلت السنوات المجدبات كان اول من حصل له الجوع الملك
فانتبه نصف الليل ينادي يا يوسف الجوع الجوع فقال
يوسف عليه السلام هذا اوان القحط دعاله فابراه الله تعالى
يعني السنة الاولى من السبع سنين المجدبة فقد كل شي
اعدوه في السنين المخصبة لانهم كانوا ياكلون ولا يشبعون
فجعلوا يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في السنة الاولى
بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا قبضه وباعهم
في السنة الثانية بالحلي والجواهر وباعهم في السنة
الثالثة بالمواشي وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاما
وباعهم في السنة الخامسة بالعقار وباعهم في السنة السادسة
باولادهم ونسايهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى
لم يبق في مصر حر ولا حرة الا صاروا عبيدا ليوسف فقال الناس
ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم من هذا فقال يوسف للملك كيف

رايت صنع ربي في اخوتي ما ترى فقال له الملك الراي رايك
وانا تبع لك ومن بعض رعيتك ومماليكك فقال يوسف اني
اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت
عليهم املاكهم واموالهم وروي ان يوسف عليه السلام كان
لا يشبع في تلك السنين من الطعام فقيل له اتجوع وبيدك
خزاين الارض فقال اخاف ان اشبع فانسي الجايع وكان
يامر طباخ الملك ان يجعل غذاه الي نصف النهار حتى يذوق
الملك طعم الجوع فلا ينسي الجياع فمن ثم جعل الملوك غذاهم
وسط النهار وكان قد نزل بالشام وارض كنعان التي هي ارض
يعقوب من القحط ما نزل بارض مصر فارسل يعقوب بنيه
للميرة فحين دخلوا علي يوسف عرفهم وهم له منكرون لانه كان
بين رميهم له في الجب وبين قدومهم عليه سبعون سنة وقيل
ثمانون فلما سالهم قال من انتم فاني انكر حالكم فقالوا قوم من ارض
الشام اصابنا الجهد فجينا نمتار فقال لعلكم عيون جيتم
تنظرون عورة بلادنا فقالوا والله ما نحن عيون وانما نحن
اخوة بنو نبي واحد صديق اسمه يعقوب فقال كم انتم
قالوا

قالوا كنا اثني عشر فهلك منا اخ ذهب معنا الي البرية فاكله الذيب
وكان له اخ من امه فابونا يتسلي به عن اخينا الهالك قال
فمن يعلم ان الذي تقولونه حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد
قال فاتوني باخ لكم من ابيكم ان كنتم صادقين فانا ارضى بذلك قالوا
سنراود عنه اباه وانا لفاعلون فعند ذلك جهزهم بجهازهم
يعني حمل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام وقال لفتيته يعني لغلمانه
الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم اي ثمن طعامهم في رحالهم
لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الي اهلهم لعلهم يرجعون قيل انما فعل يوسف
ذلك لانه علم ان امانتهم وديانتهم تحملهم علي رد البضاعة
ولا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل لانه راي اخذ ثمن
الطعام من اخوته وابيه مع حاجتهم اليه لوما فرده اليهم فلما
رجعوا الي ابيهم قالوا يا ابانا قدمنا علي خير رجل ما راينا اشبه بك
منه ولا بد ملك انزلنا واكرمنا واحسن الينا ووفي لنا الكيل
واخبروه بالقصة وقالوا يا ابانا منع منا الكيل ان لم نذهب
باخينا فارسل معنا اخانا بنيامين نكتل وانا له لحافظون
نحفظه اشد الحفظ حتى نرده اليك فقال يعقوب هل امنكم
عليه الا كما امنتكم علي اخيه من قبل فالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين

ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم اي ثمن طعامهم ردت
اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي اي اي شي نطلب وراء هذا وفا لنا
الكيل ورد علينا الثمن ارادوا بذلك تطييب قلب ابيهم
ونمير اهلنا نشتري لهم الطعام ونحفظ اخانا بنيامين اذا
انفذته معنا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير يسير على من
يكتال لنا السخاية لا مشقة فيه فقال لهم ابوهم لن ارسله
معكم حتى تؤتوني موثقا من الله اي تحلفوا لي بحق محمد خاتم
النبيين انكم لا تضيعوا على ولدي فلما اتوه موثقهم قال الله على
ما نقول وكيل اي شاهد فلما ارادوا الخروج قال لهم يا بني
لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة خاف عليهم
العين لانهم كانوا ذوي جمال وصور حسان وقامات منضدة
وما اغني عنكم من الله من شي يعني الحذر لا ينفع من القدر
ان الحكم الا لله اي الامر والقضاء والتدبير عليه توكلت اي اعتمدت
وعليه فليتوكل المتوكلون وقيل انما اراد بدخولهم من ابواب
متفرقة لانه بلغه ان يوسف بمصر فاراد ان يتفرقوا لعل احدا
منهم ان يراه فيخبره به ثم لما دخلوا على يوسف قالوا هذا
اخونا

اخونا الذي امرتنا ان ناتيك به فانزلهم باحسن المنازل تزين
بانواع الزينة وجعلت فيه صواني الذهب مملوءة بالطيب
يمينا وشمالا واقام عن يمينه الف وصيف وهكذا عن يساره مثل
ذلك ثم جلس وامرهم فدخلوا عليه فاجلسهم وامر بانواع الاطعمة
فحضرت على موايد الذهب فاجلس كل اثنين منهم على مايدة
فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال في نفسه لو كان اخي يوسف
حيا لاكلت معه فقال يوسف لقد بقي اخوكم هذا وحيدا فاجلسه
على مايدته ثم انزل كل اثنين في بيت وقال هذا بقي اخاه
بنيامين لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم
رايحته حتى اصبح ثم قال له اني انا اخوك فلا تبتئس اي لا تحزن
بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا
على خير فلا تعلمهم بشي مما اعلمتك به فلما تعارفا تعانقا
فضجت الاركان في السماء ثم قال يا اخي لا تخف فاني اريد ان
اخذك منهم وتبقى عندي حتى نبعث الى ابينا فساحتال
بحيلة في اخذك فلا تخف ولا يشق عليك قال له افعل ما بدا لك
قال له فاني ادس صاعي هذا في رحلك ثم انادي عليك بالسرقة
ليعينني ذلك على اخذك عندي قال له افعل فذلك قوله تعالى

وكذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك
اي في حكم الملك كان اذا اتى اليه بسارق كشف الجلد
عن قرنيه وسهل عينيه الا ان يشاء الله يعني ان يوسف لم
يمكنه اخذ اخيه في حكم الملك لولا ما اجراه الله على السنة
اخوته ان جزا السارق الاسترقاق حيث قالوا جزاوه من
وجد في رحله فهو جزاوه اي جزا الموجود في رحله ان يسلم الى
المسروق منه وكان ذلك سنة آل يعقوب في السارق فجي
اي بتجهيزهم جعل السقاية في رحل اخيه وهي مشربة كان
الملك يشرب بها ثم استخرجها من وعاء اخيه فنكس اخوته
روسهم حيا منه واعتذروا اليه وقالوا ان يسرق فقد
سرق اخ له من قبل وكان يوسف فعل ذلك وهو صغير جاه
سايل فاخذ بيضة ودفعها له فعايروه بذلك فاسرها
من ابيه وامه في نفسه ولم يبدها لهم اي اضمرها ثم انهم
راودوه ترفقوا له وقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا
فتعلق القلب به فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين
ان فعلت ذلك قال معاذ الله ان ناخذ اي اعوذ بالله ان ناخذ
الا من وجدنا متاعنا عنده فلما استياسوا منه اي ايسوا
من

ايسوا منه اخذ احدهم عوضا من بنيامين رجعوا الى ابيهم وقالوا
يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا من سرقته وتيقناه
لان الصواع استخرج من وعايه وما كنا للغيب اي للامر الخفي
حافظين اسرق بالصحة ام دس الصواع في رحله ولم نشعر به فقال
ابوهم عند ذلك بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه اي حملتم بنيامين
رجا منفعة فعاد من ذلك شر فصبر جميل لا جزع فيه عسى الله
الاية يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه يقال التحسس في الخير
والتجسس في الشر ولا تياسوا اي لا تقنطوا من روح الله اي فرج الله
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يريد ان المومن
يرجو فرج الله في الشدة والكافر يقنط في الشدة فلما
دخلوا عليه اي على يوسف وشكوا اليه حالهم وما حصل
على ابيهم من فراق بنيامين قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا
الضر فرق لهم وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه ثم رفع
التاج عن راسه وكان فيه علامة مثل الشامة فحين
راوها قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي
قد من الله علينا اجمع شملنا بعدما فرق بيننا انه من
يتق ويصبر على الغربة فان الله لا يضيع اجر المحسنين

الصابرين القايمين بطاعته وفي القصص ان يعقوب عليه السلام
لما قيل له ان بنيامين سرق واخذ بسرقته قال للرسول
اكتب بسم الله ابراهيم واسحاق ويعقوب من يعقوب اسرائيل
الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله اما بعد
فانا اهل بيت موكل بنا البلا اما جدي ابراهيم القي في النار
فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما ابي فشدت يداه ورجلاه
ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم واما
انا فكان لي ولد وكان احب اولادي الي فذهبوا به اخوته
الي البرية واتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله
الذيب فبكيت عليه حتى ذهبت عيناي وكان
لي ولد هو اخوه من امه وكنت اتسلى به فقالوا انه
سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق
ولا نلد سارقا فان رحمت وارددت علي ولدي فان فعلت
فالله يجزيك وان لم تفعل والا دعوت عليك دعوة
دعوة تدرك السابع من ولدك فلما وصل الكتاب
الي يوسف قراه وبكى وعيل صبره وعرفه اخوته نفسه
فاستحلوا منه واعتذروا اليه بما وقع منهم في حقه
فقال

فقال لا تثريب عليكم اليوم اي لا تعيير عليكم يغفر الله لكم وهو
ارحم الراحمين ثم قال لهم ما فعل بابي بعدي قالوا ذهبت عيناه
من البكا فقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات
بصيرا واتوني باهلكم اجمعين فقال يهودا انا ذهبت بالقميص
ملطخا بالدم واخبرته ان يوسف اكله الذيب وانا اذهب اليه
بالقميص واخبره انه حي فافرحه كما احزنته فسار ثمانين فرسخا
في سبعة ايام وكان معه سبعة ارغفة زوادة ولما فصلت العير
يعني فارقت عريش مصر الي ارض كنعان قال ابوهم لولد ولده
اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون اي تستفهمون في قول مجاهد
وفي القصة ان الريح استاذنت ربها في ان تاتي يعقوب بريح
يوسف قبل ان ياتيه البشير فاذن لها فاتته وبروي ان يعقوب
سال البشير كيف تركت يوسف فقال ملك مصر فقال يعقوب
ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال
الان تمت النعمة مالي ما اكافيك به على بشارتك الا الدعا
هون الله عليك سكرات الموت ولا جعل لك الي بخيل حاجة
فلما القى القميص على وجهه ارتد بصيرا بعد ما كان اعمى وقويا
بعد ما كان ضعيفا وقال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون

من حياة يوسف وان الله يجمعنا فقالوا عند ذلك يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم
ربي انه هو الغفور الرحيم قيل اخر الدعا الي وقت السحر لان
الدعا في الاسحار لا يحجب فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك
في خروجه اليه فخرج يوسف والملك في اربعماية الف من الجند
وركب معهما اهل مصر فلما نظر يعقوب الي الخيل والناس قال
يا يهودا هذا فرعون مصر قال هذا ابنك فلما دني كل واحد منهما
الي صاحبه ترجل يوسف وذهب ليبدا اباه بالسلام فمنعه
ذلك لان القادم يسلم اولا فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب
الاحزان وقال سفيان لما التقيا عانق كل منهما صاحبه
وبكا فقال يوسف يا ابت بكيت حتى ذهب بصرك الم تعلم ان
القيامة تجمعنا قال بلي ولكن خفت ان تسلب دينك فيحال بيني
وبينك قال وهب ودخل يعقوب وولده الي مصر وهم اثنان وسبعون
انسانا من كل رجل وامراة وخرجوا منها مع موسي وهم ستماية
الف وخمسماية وبضع وسبعون رجلا سوي الذرية والهرما
والزمنا وكانت الذرية الف الف وما بين الف سوي المقاتلة
فلما دخل يوسف بابيه واهله الي مصر قال ادخلوا مصر ان شاء
الله

الله امنين ورفع ابويه علي العرش اي السرير وخروا له سجدا
يعني اباه وخالته واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود
ولم يرد بالسجود وضع الجبهة علي الارض لان ذلك لا يجوز الا لله
وانما ذلك التواضع والانحنا علي طريق التحية والتعظيم لا علي
جهة الصلاة والعبادة فعند ذلك قال يوسف يا ابت هذا تاويل
رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وهي الاحد عشر كوكبا والشمس
والقمر التي راها ساجدة له وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن
ولم يقل من الجب مع كونه اول ما ابتلي به لئلا يذكر اخوته ما فعلوا
به فيكون ذلك توبيخا لهم ولما جمع الله شمل يوسف واقر
عينه واتم له رؤياه وكان موسعا عليه في دنياه علم ان ذلك
لا يدوم ولا بد من فراقه فاراد نعيما هو افضل منه فاشتاقت
نفسه الي الجنة فتمني الموت ودعا ولم يتمن نبي قبله ولا بعده
الموت فقال رب قد اتيتني من الملك يعني ملك مصر وعلمتني
من تاويل الاحاديث يعني تعبير الرؤيا فاطر السموات والارض
اي خالقها انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين

خاتمة الكتاب وسجع طايره المستطاب

اولها حكي الثعلبي وغيره من المفسرين ان اخوة يوسف كانوا قد

اصطادوا ذيبا ولطخوه بالدم واوثقوه بالحبال ثم جاؤوا
به الى ابيهم وقالوا يا ابانا هذا الذيب الذي يحل باغنامنا
ويفترسها ولعله الذي فجعنا في اخينا لا نشك فيه وهذا
دمه عليه فقال يعقوب اطلقوه فاطلقوه فبصبص
له بذنبه واقبل يدنو منه فقال له يعقوب ادن ادن
حتى الصق خده بخده فقال له ايها الذيب لم فجعتني
في ولدي واورثتني بعده حزنا طويلا ثم قال اللهم انطقه
فانطقه والذي فقال والذي اصطفاك نبيا ما اكلت
لحمه ولا مزقت جلده ولا نتفت شعره والله ما لي بولدك
عهد وانما انا ذيب غريب اقبلت من نواحي مصر في طلب
اخ لي فقدته فلا ادري اهو حي ام ميت فاصطادوني
اولادك واوثقوني وان لحوم الانبياء حرمت علينا وعلى
جميع الوحوش وتالله لا اقمت في بلاد يفعل فيها اولاد
الانبياء بالوحوش هكذا فاطلقه يعقوب وقال لبنيه تالله
لقد اتيتم بالحجة على انفسكم هذا ذيب بهيمة خرج
في تتبع ذمام اخيه وانتم ضيعتم اخاكم وعلمتم ان الذيب بريء
مما جئتم به بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل الاية ثانيها

ثبت

ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا راع يرعى
في غنمه اذ عدا عليه الذيب فاخذ منها شاة فطلبه الراعي فالتفت
اليه وقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري وبينا رجل
يسوق بقرة قد حمل عليها التفتت اليه فكلمته وقالت اني لم اخلق لهذا
ولكني خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاني اومن بذلك انا وابو بكر وعمر رواه
البخاري ومسلم رحمهما الله قوله يوم السبع هو بسكون الباء
قال ابن الاعرابي السبع ارض المحشر ثالثها ثبت ايضا في صحيح
الترمذي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه بينما راع يرعى
غنما له اذ جاء ذيب فاخذ منها شاة فحال الراعي بينه وبين
الشاة فاقعى الذيب على ذنبه ثم قال يا راعي اتق الله تحول
بيني وبين رزق رزقنيه الله تعالى فقال العجب من ذيب يتكلم
يكلمني بكلام الانس فقال الذيب الا اخبرك باعجب من ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحرة يحدث الناس اخبار
ما قد سبق فساق الاعرابي غنمه حتى اتى المدينة فزواها
ناحية ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه فقال

النبي صلى الله عليه وسلم صدقت ثم قال ان من اشراط الساعة
ان تكلم السباع الانس والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة
حتى تكلم الرجل عذبة صوته وشراك نعله ويخبره فخذه
بما احدث اهله اورد ابو عيسى الترمذي بعض هذا الحديث
في جامعه عن سفيان بن ربيع عن ابيه عن القاسم ابن الفضل
وقال هذا حديث حسن صحيح اقول قال القاضي عياض
في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى عند ذكر هذا
الحديث ملخصه وروي حديث الذيب عن ابي هريرة فقال الذيب
انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا
قط اعظم منه قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها
على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب
فتصير في جنود الله تعالى قال الراعي من لي بغنمي فقال
الذيب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه الغنم ومضى
وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم
مقاتلا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك
تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها
رابعها قال القاضي عياض في الشفا ايضا وقد روي
عن

عن ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان ابن حرب وصفوان
ابن امية مع ذيب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف
الذيب فعجبا من ذلك فقال الذيب اعجب من ذلك محمد بن
عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال
ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها
خلوا اقول

فوا عجبا كيف يعصى الاله	ام كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له اية	تدل على انه واحد

وقال اخر

وفي الارض ايات ملا ايل هكل	فعجايب الاشيا من اياته

خامسها روي عن الشعبي انه قال خرج اسد وذيب
وثعلب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وغزالا وارنبا
فقال الاسد للذيب اقسم فقال حمار الوحش للملك والغزال
لي والارنب للثعلب قال فرفع الاسد يده وضرب راس
الذيب ضربة فاذا هو منجدل بين يديه ثم قال للثعلب
اقسم هذه بيننا فقال الحمار يتغذى به الملك والغزال
يتعشى به والارنب بين ذلك فقال الاسد ويحك

ما اقضاك من علمك هذا القضا فقال القضا الذي
نزل براس الذيب ساد تسها حكي عن العرب ان الذيب
اذا اراد النوم راوح بين عينيه فنام باحدي عينيه
ويفتح الاخري لتكون حارسة له من شر ما يوذيه وفي ذلك
يقول شاعرهم وهو حميد بن هلال

ينام باحدي مقلتيه ويتقي   بالاخري الاعادي فهو يقظان نايم

وحكي ان الارنب ينام وعيناه مفتوحتان وفي ذلك
يقول المتنبي

ارايت ان عيونهم ملوك   مفتوحة عيونهم نيام

سابقها حكي ابو الفرج المعافا بن زكريا النهرواني ان اسدا
كان يلازمه ويحضر مجلسه ذيب وثعلب وان الاسد وجد علة
فمرض بها وتاخر الثعلب اياما فتفقده الاسد وسال عنه
وقال ما فعل الثعلب فاني لم اره منذ ايام مع ما عرض لي من
المرض فانتهزها الذيب ليغري بها الاسد ويفسد حاله عنده
ويحمله علي مكروه فقال ايها الملك ما هو الا ان وقع علي علتك
فاستبد بنفسه ومضي فيما يخصه من لهوه وكسبه وبلغ
الثعلب ما قاله الذيب فوافي الاسد ثانية ودخل عليه قال له
الاسد

الاسد ما اخرك عني مع علتي وحاجتي مع كونك بالقرب مني
فقال ايها الملك لما وقفت علي العلة العارضة لك لم يقر لي
قرار فجعلت اجول البلاد واجوب الافاق الي ان وقفت علي
فنا سعي ما يشفي الملك من مرضه فقال اعلم انك لا تقارف
رضي ولا تخرج عن طاعتي فما الذي وقفت عليه مما تشفي
به قال بتناولك خصيتي الذيب فانه يبريك عند ما يستقر
في جوفك فقال انا فاعل هذا فخرج الثعلب وجلس في دهليز
الاسد ووافا الذيب فحين وقف بين يدي الاسد فوثب
عليه الاسد والتقم خصيتيه فخرج الذيب والدم يسيل
علي فخذيه فلاس بالثعلب قال له يا صاحب السروال الاحمر
اذا جالست الملوك فانظر كيف تذكر حاشيتهم عندهم اوّل
ومن غريب ما اتفق لابي الفرج المعافا راوي هذه الحكاية
انه قال حججت سنة وكنت بمني ايام التشريق فسمعت
مناديا ينادي يا ابا الفرج فقلت لعله يريدني ثم قلت في الناس
كثير ممن يكنى ابا الفرج فلعله ينادي غيري فلم اجبه فلما
لم يجبه احد نادي يا ابا الفرج المعافا فهممت ان اجيبه ثم
قلت قد يتفق ان يكون احد اسمه المعافا ويكنى ابا الفرج

فنادى يا ابا الفرج المعافا بن زكريا النهرواني فقلت لم اشك
في مناداته اياي اذ ذكر اسمي وكنيتي واسم ابي وبلدي الذي
انسب اليها فقلت ها انا ذا ما تريد فقال لعلك من نهروان
الشرق فقلت نعم فقال نحن نريد نهروان الغرب فعجبت
من اتفاق الاسم والكنية واسم الاب وما انسب اليه وعلمت
ان بالغرب موضعا يسمى النهروان غير النهروان الذي
في العراق حكى عنه هذه الحكاية ابو عبد الله الحميدي
وهي من العجايب

الباب الثاني في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في قصة موسى وفرعون

اقول قد تقدم في المقدمة
ان اخر مناجاة موسى عليه السلام يا رب اوصني فقال
اوصيك بامك قال له سبع مرات ولما استاجر شعيب موسى
لرعي الغنم قال له ادخل هذا البيت لبيت عنده فيه عصي
الانبيا فخذ منها عصى تطرد بها السباع عن غنمك وكان
ليلا فدخل فاخذ عصى كان هبط بها ادم من الجنة وتوارثها
الانبيا عليهم السلام حتى وصلت الى شعيب فقال لموسى
ردها وخذ غيرها فلا وقع في يده غيرها سبع مرات فعلم ان
لها شانا وقيل ان ملكا جا شعيبا في صورة انسان فاودعه هذه
العصا

العصا
فامر ابنته بان تدفع الى موسى عصى فلم يقع في يدها الا هذه
العصا سبع مرات فدفعتها الى موسى ثم ندم على ذلك لانها
كانت عنده وديعة فرجع بها موسى فتبعه شعيب وقال له رد
العصا فقال هي عصاي فاختصما الى اول قادم يقدم عليهما فقدم
ملك في صورة انسان فقال لموسى الق العصا فمن اخذها منكما
فهي له فالقاها فعالجها شعيب فلم يطقها فاخذها موسى
فعلم شعيب انها له ثم قال اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ
عن يمينك فان ثم تنينا اخاف عليك وعلى غنمك فاخذت
الغنم في ذلك الطريق بغير اختيار موسى فجاله نحو جره كثير
الكلام فنام فجا التنين فقاتلته العصا حتى قتلته
ثم عادت مكانها فاستيقظ موسى فراى العصا دامية
والتنين مقتولا فارتاح لذلك وعلم ان العصا شانها عظيما
فمن اياتها العظيمة ما اخبر الله به في قوله حاكيا عن فرعون
ان كنت جيت باية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي حية صفرا لشقرا فاتحة
فاها بين لحييها ثمانون ذراعا قيل وارتفعت من الارض
قدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل

في الارض والاعلي علي سطح القصر الذي فيه فرعون
نوثب فرعون هاربا واحدث قبل اخذه البطن في ذلك
اليوم اربعمايه مرة وحملت علي الناس فانهزموا ومات منهم
ماية وخمس وعشرين الفا قتل بعضهم بعضا فدخل فرعون
البيت وصاح ياموسي خذها وانا اومن وارسل معك بني
اسرائيل فاخذها موسي فعادت عصي فكذب فرعون بعد
ذلك وارسل في المداين حاشرين هم الشرطان يحشرون
الناس اي يجمعون السحرة من مداين الصعيد اذ كانت بها
ايمة السحرة وهذه المداين التي ارسل فرعون فيها من
يحشر السحرة كانت سبع مداين حكاه المهدوي في تفسيره
وهي نشطا وابوصير وبيا وصان وارمنت وانزيب
وايضا قال الكواشي في تفسير قوله تعالي ثم ايتوا صفا كانوا
سبعين الف ساحر مع كل ساحر منهم حبل وعصا كل الف
صف اقول فعلي هذا كانوا سبع صفوف فلما القوا سحروا
اعين الناس اي صرفوا اعينهم عن حقيقة ما فعلوه من التمويه
والتخيل وهذا هو السحر واسترهبوهم اي افزعوهم وجاوا
بسحر عظيم لانهم القوا حبالا وعصيا فاذا هي حيات كامثال
الجبال

الجبال قد ملات الوادي وركب بعضها بعضا وكانت
الارض الملقي فيها ميلا في ميل فحين القي موسي عصاه
سدت الارض وكان اجتماعهم بالاسكندرية فقال ان ذنب الحية
بلغ من وراء البحيرة ثم فتحت فاها ثمانون ذراعا فاذا هي تلقف
ما يافكون اي يكذبون ويزورون علي الناس فابتلعت
جميع ما القوا وقصدت الناس فهلك منهم في الزحام خمسة
وعشرون الفا ثم اخذها موسي فصارت عصي كما كانت فوقع
الحق وبطل ما كانوا يعملون فلما امن هذا السحرة من امن
كما اخبر الله تعالي قال الباقون مهما تاتنا به من اية لتسحرنا
بها فما نحن لك بمومنين فارسل الله عليهم الطوفان وفيه سبعة
اقوال قيل الطوفان الما دخل بيوت القبط حتي قاموا في الما الي تراقيهم
فمن جلس منهم غرق وكانت بيوت بني اسرائيل وبيوت القبط
مختلفة فامتلات بيوت القبط ولم يدخل بيوت بني اسرائيل
قطرة واحدة ودام ذلك عليهم سبعة ايام ذكره البغوي وقيل
الطوفان الموت وقيل الطاعون بلغة اليمن وقيل امر الله طاف
فيهم فقالوا ياموسي ادع لنا ربك فدعا الله فرفع عنهم كلا
فما امنوا فارسل الله عليهم الجراد فاكلت جميع ما يوكل حتي

اكلت الابواب والحديد والمسامير ولم يدخل بيوت بني اسرائيل
شيء فاستغاثت القبط بموسى ووعدوا التوبة قال الزمخشري
في الكشاف فكشف عنهم بعد سبعة ايام وكان موسى قد خرج
الى الصحرا واشار بعصاه شرقا وغربا فرجعت الجراد حيث
جات فلما نكثوا ولم يرجعوا عما كانوا عليه فارسل الله عليهم
القمل وفيه سبعة اقوال للمفسرين قيل القمل السوس الذي
يخرج من الحنطة وقيل الذي يخرج من جميع الحبوب وقيل هو
جنس من القراد وقيل هو ما لم يطر من الجراد والجراد ما طار وقيل
هو الذباب واولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل هو البراغيث
وقيل القمل بفتح القاف وسكون الميم وقرئ بها فاكل ما بقي
من زرعهم وكان يدخل بين ثوب احدهم وجلده فيمصه وكان
لا ياكل احدهم طعاما الا يمتلي فمه قملا ودام ذلك عليهم سبعة ايام
فاستغاثوا بموسى فدعا لهم فرفع عنهم فلم يزدادوا الا تكذيبا
به وقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك
ابدا فارسل الله عليهم الضفادع فدخلت بيوتهم ووقعت في
اطعمتهم وكانوا يجلسون في الضفادع الى رقابهم فاذا تكلم احدهم
وثبت الضفدع في فيه وكذا ان اكل او شرب فخبثت عليهم جميع
معيشتهم

معيشتهم فبكوا وشكوا الى موسى وقالوا هذه المرة نتوب ولا نرجع فاخذ
مواثيقهم على ذلك ثم دعا لهم فكشف عنهم بعد ان قام عليهم سبعة
ايام فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصار النيل دما وصارت
مياههم دما فلا يجدون ماء الا دما عبيطا احمر وكان فرعون يجمع بين
القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فما يلي الاسرائيلي يكون ماء
وما يلي القبطي يكون دما حتى ان المراة القبطية تقول لجارتها
الاسرائيلية اجعلي الما في فيك ثم مجيه في فمي فيكون الماء في فمها
دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار
الرطبة فاذا مصها صار دما فقالوا يا موسى ادع لنا ربك فدعى
فكشف عنهم بعد ان قام عليهم سبعة ايام فعادوا الى عنادهم
وكفرهم وفسادهم آيات مفصلات اي يتبع بعضها بعضا وتفصيلها
ان كل عذاب كان يمتد سبعة ايام من السبت الى السبت فاستكبروا
وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز اي الطاعون وهو العذاب
السادس بعد الآيات الخمس حتى مات منهم في يوم واحد سبعون
الفا قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك من اجابة
الدعوة لئن كشفت عنا الرجز وهو الطاعون
لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم

الرجز الي اجل هم بالغوه اي الغرق اذا هم ينكثون اي ينقضون
فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر بانهم كذبوا باياتنا
وكانوا عنها غافلين اقول وقبل ذكر قصة غرق فرعون
نذكر نبذة من سيرته ومبدا ولايته وصفته قال وهب
رحمه الله كان فرعون قصيرا وطول لحيته سبعة اشبار
وقيل كان طوله قدر ذراع قال ابن المبارك كان فرعون عطارا
باصبهان فافلس فركبته الديون وخرج منها هاربا من
الديون فاتى الشام فلم يستقم حاله فجا الي مصر فراي على باب
المدينة حمل بطيخ فسال عن سعره فقيل له هذا بدرهم فدخل
المدينة فسال عنه فقيل له كل بطيخة بدرهم فقال من ههنا
اقضي ديني فاشترى حملا بدرهم واتى الي باب المدينة فنهبه
منه البوابون فما بقي منه الا واحدة فباعها بدرهم فقال ما هذا
اما ههنا من ينظر في مصالح الناس فقالوا له ملكنا مشغول
بلذته وفوض الامر الي الوزير وهو لا ينظر في شي فخرج
فرعون الي المقابر فجعل لا يمكن احدا من الدفن الا بخمسة دراهم
فاقام على ذلك مدة لم يتعرض له احد فماتت ابنة الملك فقال
هاتوا خمسة دراهم فقالوا اي جل هذه ابنة الملك فقال هاتوا
عشرة

عشرة دراهم فقالوا ويحك هذه ابنة الملك فلم يزل يضعفها الي ان
بلغت مائة درهم فاخبروا الملك بحديثه فقال ومن هذا قالوا عامل
الاموات فارسل الي الوزير فساله عنه فانكر حاله فارسل اليه الملك
وقال من انت فاخبره بخبر البطيخ وقال ما عملت عامل الموتى الا حتى
يصل اليك خبري وتحضرني فانصحك لتستيقظ لنفسك وتحفظ
ملكك والا ذهب منك فاستوزره وفعل الوزير فسار في الناس
سيرة حسنة وكان عادلا سخيا يقضي بالحق ولو على نفسه
فاحبه الناس فتوفي الملك فولوه عليهم فعاش زمانا طويلا حتى
مات منهم ثلاث قرون وهو باق فبطر وتجبر وطغى وقال انا ربكم
الاعلى قال قتادة الفراعنة ثلاثة اولهم سنان الرسل الذي
اخذ سارة من الخليل كان في زمنه بمصر الثاني الريان بن الوليد
وهو فرعون يوسف الثالث الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى
قال الجوهري فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر وكل عات
وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة وفي الحديث اخذنا فرعون هذه
الامة يعني ابي جهل وكانت الكهنة اخبرت فرعون وقالوا له يولد
مولود من بني اسرائيل يكون هلاكك على يديه فامر فرعون
بذبح كل مولود يولد من بني اسرائيل ووكل الشرط مع القوابل

كلما ولد مولود ذبحوه واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل
فقال رؤسا القبط لفرعون قد امرت بذبح الابنا وقد اسرع
الموت في المشايخ فان دمت علي هذا لم يبق لنا من يخدمنا
فامر فرعون بان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد موسي في سنة
الذبح فلما تلقته القوابل رات نورا بين عينيه فهالها وهابته
وقالت لامه احفظي ابنك فهذا هو المطلوب الذي اخبرنا
بانه عدونا لانها كانت قبطية وكانت مصافية لام موسي
فلما دخل عليها الشرطية وكان التنور يسجر فلفته في خرقة
والقته في التنور فلما خرجوا قامت الي التنور فوجدته سالما فالهمها
الله ان صنعت له تابوتا وقذفته فيه في البحر فساقه القدر
الي نهر ياخذ من النيل الي دار فرعون ووافق جلوس فرعون
في ذلك علي البركة فامر فرعون باخراجه ففتحوه فراه فرعون
فقال عبراني كيف اخطاه الذبح وامر بذبحه فقالت له اسية انما
امرت بذبح ابنا السنة وهذا اكبر من سنة فدعه عسي ان يكون
قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسي ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكان
لا يولد لفرعون الا البنات فاحبه حبا شديدا بحيث لا يصبر
عنه لحظة قال ابن عباس وذلك قوله تعالي والقيت عليك
محبة

محبة مني فجمعت له اسية المراضع فلم يقبل منها ثديا فقالت مريم
اخته وكانت هي قد خرجت في طلبه والفحص عن امره كما اخبر
الله تعالي ودخلت دار فرعون وقالت هل ادلكم علي من يكفله اي
من يرضعه ويضمه فقالت اسية نعم فارسلت الي امه وروي انه
اقام سبعة ايام وقال الكوشي ثمانية ايام بلياليهن لا يقبل ثدي
مرضعة واخته تعلم بذلك فقالت هل ادلكم علي اهل بيت
يكفلونه لكم الاية فمكث عند امه الي ان فطمته ثم ردته فتبناه فرعون
واسية واتخذته ولدا ولما بلغ اشده واستوي وقتل القبطي
وخرج من مدينة مصر خائفا يترقب قال رب نجني من القوم ال
الظالمين ولما توجه تلقا مدين واستاجره شعيب لرعي الغنم
ثماني حجج اي اربع سنين وقصته مشهورة كما اخبر الله تعالي في قوله
تعالي ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك الاية فلما قضي موسي
الاجل وسار باهله الي ارض مصر انس من جانب الطور نارا اي ابصر
قال مجاهد انما راي نورا ولكن وقع الاخبار عما كان في ظنه فلما اتاها
نودي من شاطي الوادي الايمن اي من جانب الوادي الذي عن يمينه
في البقعة المباركة التي بورك فيها لموسي صلي الله عليه وسلم وبعثه
منها نبيا من الشجرة اي ناجته وكانت عنابا ان يا موسي اني انا الله

رب العالمين الذي جميع الخلق تحت طوعي وقهري وان القِ عصاك
فلما راها تهتز كانها جان اي حية تسير بسرعة ولي مدبرا ولم يعقب
لم يلتفت فثم قيل له يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين
فلايتا لك مكروه اسلك يدك في جيبك تخرج بيضا من غير
سوء اي غير برص واضمم اليك جناحك من الرهب اي ضع
يدك على صدرك ليذهب عنك الرعب مما نابه الحية قال مجاهد
من فزع جناحه اليه ذهب عنه الفزع فذلك اي العصا
واليد برهانان من ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما
فاسقين وفي الحديث مما رواه وهب بن منبه قال دخل
موسى على فرعون فقال له آمن ولك الجنة ودوام ملكك فقال
حتى اشاور هامان فشاوره في ذلك فقال بينما انت تعبد
اذ صرت تعبد فانف واستكبر وكان في بداية ولايته سلك
العدل والانصاف وانما اهلكه حيث اتخذ بطانة السوء فاسقين
مثل هامان وقارون ومن ضارعهما ومعلوم ان الله اذا اراد
بملك سوءا قيض له قرنا السوء ونعم ما قال القايل شعر

عن المرء لا تسال وسل عن قرينه ... وكل قرين بالمقارن يقتدي
اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

قال

قال ابن جبير كانت مدة ملك فرعون اربعماية سنة وعاش ستماية
سنة وعشرون سنة لا يرى فيها مكروها ولو كان له في تلك
المدة جوع يوم او حمى ليلة او وجع ساعة لما ادعى الربوبية
ولم يزالوا في النعمة حتى اخذه الله نكال الاخرة والاولى قال ابن
عباس الاولى قوله ما علمت لكم من اله غيري والثانية قوله انا ربكم
الاعلى قيل كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل نكال الاخرة
والاولى تعذيبه في اول النهار بالماء وفي اخره بالنار قال ابن الجوزي
في بعض مجالس وعظه وقد ذكر قوله تعالى فيما حكاه عن فرعون اليس
لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون يفتخر فرعون
بنهر ما اجراه ما احسن هذا الكلام واوقعه في النفس قال المهدوي
في تفسير معنى هذه الانهار انها كانت سبعة خلجان خليج الا
الاسكندرية وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم
وخليج بنها وخليج سخا متصلة لا تنقطع وبين الجنان زرع
من اول مصر الى اخرها وقد دمر الله تلك العالم وطمس على تلك
الاموال فقال وهو اصدق القايلين ودمرنا ما كان يصنع فرعون
وقومه وما كانوا يعرشون وقال تعالى فاخرجناهم من جنات
وعيون وزروع ومقام كريم قال بعض المفسرين المقام الكريم

النيوم وقيل المقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنابر الحسنة وكان
فرعون اذا جلس علي سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي
من ذهب يجلس عليها اشرافه وقومه عليهم اقبية الديباج
مخوصة بالذهب وكان قد استعبد بني اسرائيل واتخذهم
خدما في الاشغال وطائفة يبنون وطائفة يزرعون وطائفة
ينحتون السواري وطائفة يضربون اللبن وطائفة ينقلون الحجارة
والنساء يغزلن الكتان وينسجن والضعفاء جعل عليهم ضريبة
يؤدونها في كل يوم فمن غربت عليه الشمس ولم يؤد ضريبته
غلت يمينه في عنقه شهرا ولما اراد الله هلاك فرعون وخلاص
بني اسرائيل من هذه الشدة امر موسي ان يسري بهم من مصر ليلا
فامر موسي عليه السلام قومه ان يسرجوا بيوتهم الي الصبح فاخرج
الله كل ولد زنا في بني اسرائيل من القبط حتي رجع الي ابيه والقي
الله الموت في القبط فمات كل ولد يولد لهم زنا واشتغلوا بدفنهم حتي
اصبحوا وخرج في ستمائة الف وسبعين الف مقاتل لا يعدون
ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره وكانوا يوم دخولهم مع
يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامراة قال ابن عطية
فتنسلوا حتي بلغوا وقت خروج موسي العدد المذكور فسار

وموسي

وموسي علي ساقتهم وهارون علي مقدمتهم وبدر فيهم فرعون
فجمع قومه وامرهم ان لا يخرجوا في طلب بني اسرائيل حتي يصيح
الديوك المقويلي فلم يصح في تلك الليلة ديك فخرج فرعون في طلبهم وعلي
مقدمته هامان في الف الف وسبعمائة الف سوي ساير الشياب وكان
فيهم سبعون الف من دهم الخيل وقيل كان في عسكر فرعون مائة
الف حصان ادهم وغيرها وكان فرعون في الدهم وقيل كان فرعون
في سبعة الاف الف وكان بين يديه مائة الف اصحاب الاعمدة
فاوحي الله تعالي الي البحر ان اضرب موسي بعصاه فانفلق له
فبات يضطرب بعضه ببعض خوفا من الله سبحانه وتعالي
وانتظارا لامره فسار بنو اسرائيل حتي وصلوا البحر والما
في غاية الزيادة ونظروا فاذا هم بفرعون حين اشرقت الشمس
فبقوا متحيرين وقالوا يا موسي كيف نصنع هذا فرعون خلفنا
ان ادركنا قتلنا وان دخلنا البحر غرقنا وذلك معني قوله تعالي
فلما ترآ الجمعان الاية واوحي الله الي موسي ان اضرب بعصاك
البحر فضربه فلم يطعه فاوحي الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق
ابا خالد باذن الله تعالي فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فظهر فيه
اثني عشر طريقا لكل سبط طريق وارتفع الما بين كل طريقين

كالجبل وارسل الله الريح على قاع البحر فصار يبسًا فخاضت بنو
اسرائيل البحر كل سبط في طريق لا يرى بعضهم بعضا فخافوا فاوحى
الله الى الما ان يتشبك فصار الما شبكات يرى بعضهم بعضًا
ويسمع بعضهم بعضا حتى عبروا سالمين فلما وصل فرعون البحر وراه
منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر انفلق من هيبتي حتى ادرك
عبيدي الذين ابقوا ادخلوا البحر فهابوا قومه ان يدخلوه وقالوا ان كنت
ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان ادهم ولم
يكن في خيل فرعون انثى فجا جبريل في صورة هامان على فرس انثى
وديق فتقدمه وخاض البحر فلما شم ادهم فرعون ريحها اقتحم
البحر في اثرها ولم يملك فرعون من امره شيا واقتحمت الخيول
خلفه البحر فلما صار اخرهم في البحر وهم اولهم بالخروج انطبق عليهم
طرفا البحر وكلم الما واسود وعلا ضجيجه ومثارانه وموجه فاغرقوا
اجمعين فلما الجم فرعون الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا
اسرائيل فجعل جبريل يدس في فيه من طين البحر وقال الان وقد
عصيت قبل وكنت من المفسدين وفي القصة ان نيل مصر
امسك عن الجري في زمن فرعون فقالت القبط لفرعون ان كنت
ربا فاجر لنا الما فركب وامر بجنوده قايدا قايدا وجعلوا يقفون
على

على درجاتهم وتقدم هو حيث لا يرونه فنزل عن فرسه ولبس
ثيابا وتضرع الى الله فاجرى الله الما فاتاه جبريل وهو وحده
بفتيى ما يقول الامير في عبد الملك نشا في نعمته ولا سيد له غيره
فكفر بنعمته وادعى السيادة فكتب فرعون يقول ابو العباس الوليد
ابن مصعب بن الريان جزا العبد الخارج على سيده ان يغرق في البحر
فاخذه جبريل ومر فلما الجمه الغرق ناوله خطه فعرفه فاغرقه الله
وذلك في بحر القلزم من بحار فارس وقيل من بحار مصر والله اعلم

خاتمة الباب وسجع طايره المستطاب اولها

قيل ان مومن ال فرعون كان ابن عم فرعون وهو الذي قال لموسى ان الملا
ياتمرون بك ليقتلوك اي يتشاورون في قتلك فاخرج اني لك
من الناصحين روي ان رجلين سعيا به الى فرعون وقالا له انه
امن بموسى فامرهما فرعون باحضاره فلما حضر قال لهما فرعون
من ربكما قالا له انت فقال لمن من ربك قال ربي ربهما فتوهم فرعون
انه قصد بهذا القول فقال للساعيين سعيتما الى برجل هو على
ديني لاقتلنه لاقتلكما فصلبهما وسلم الرجل المومن وذلك معنى قوله
تعالى فوقاه الله سيات ما مكروا الاية فقوبل كل منهما بالسو الذي
فعله وانعكست عليه حيلته ولا يحيق المكر السيئ الا باهله

ثانيها اقول وتجمعني هذه الحكاية ما حكي انه كان لبعض
الملوك وزير انا صحبه كل يوم يسلم عليه ويقول بعد السلام سيجزي
المحسن باحسانه وسيكفيك شر المسيء اساته لا يترك هذا القول
كل يوم وكان مقربا عند الملك فحسده حاسد فسعى في هلاكه
بان اضافه واطعمه طعاما فيه ثوم كثير ثم جاء الي الملك وقال ان هذا
الوزير الذي قربته علي اصحابك قد فضحك بين الناس واشاع
عنك البخر فلما اصبح الصباح جاء الوزير علي عادته السلام علي الملك
فغطى فمه لئلا يشم الملك منه رايحة الثوم فظن الملك انه غطى
فمه لاجل البخر الذي اشاعه عنه فكتب الملك رقعة الي بعض نوابه
وقال فيها اذا وصلت اليك الرقعة فاقطع راس حاملها واسلخ
جلده واملاه تبنا ثم ختم الرقعة وكانت عادة الملك ان لا يكتب
بيده الا رقعة الجايزة العظيمة واعطاها الملك للوزير واوهمه
انها صلة وجايزة وقال له ادفع هذه الرقعة لفلان فظن الوزير
انها جايزة فخرج بها فوجده الحاسد الذي وشى عليه عند
الملك واقفا علي الباب فقال للوزير ما هذه الرقعة فقال جايزة
كتبها لي الملك فقال ادفعها الي حتى اذهب فاخلصها واعطها
اليك فدفعها اليه فذهب بها ففعل به ما كان مكتوبا فيها
فلما

فلما جا الوزير في اليوم الثاني علي عادته للسلام علي الملك تعجب منه
وساله عن القصة فذكر حاله فقال هل كان بينك وبينه شي فقال
لا الا انه اضافني واطعمني طعاما فيه ثوم كثير فلذلك غطيت
فمي امس عند السلام عليك لا اعلم بيني وبينه غير هذا فقال
الملك صدقت في كل يوم سيجزي المحسن باحسانه وسيكفيك
شر المسيء اساته اقول وعلي ذكر هذه الصلة ذكرت ما حكي
عن المتلمس وطرفة ابن العبد وذلك انهما كانا ينادمان
الملك عمرو بن هند فهجوه هجوا قبيحا فلم يظهر لهما شيا من
التغير ثم مدحاه بعد ذلك فكتب لهما الي عامله بالحيرة وقيل
بالبحرين كتابين وامره بقتلهما اذا وصلا اليه واوهمهما انه كتب
لهما بصلة وجايزة فخرجا فمرا في بعض الطريق بشيخ يحدث
وياكل خبزا ويتناول قملا من ثيابه فقال ~~المتمس~~ المتلمس
ما رايت شيخا كاليوم احمق من هذا فقال له الشيخ وما رايت
من حمقي اخرج دوا وادخل دوا واقتل عدوا ولكن احمق مني
الذي يحمل حتفه في يده فاستراب المتلمس وقال لطرفة كل
منا قد هجا الملك ولو اراد ان يعطينا شيا لاعطانا ولم يكتب
لنا الي الحيرة فهلم فندفع كتابنا الي من يقراها لانهما كانا لا يحسنان

القراة فقال طرفة ما كنت افتح كتاب الملك فقال المتلمس والله
لا افتحه ولا اكون كمن يحمل حتفه بيده ثم نظر فاذا غلام خرج من
الحيرة فقال له اتقرا يا غلام قال نعم فدفع اليه الكتاب فلما نظر اليه
فقال ثكلت المتلمس امه واذا في الكتاب اذا اتاك المتلمس
فاقطع يداه ورجلاه وادفنه حيا فقال لطرفة افتح كتابك
فان فيه الامثل ما في كتابي فقال ان كان اجترى عليك فلم يكن يجترى
علي ونحن في صدور قومنا ثم القى المتلمس صحيفته
في نهر الحيرة وفر هاربا الى الشام ودخل طرفة الى الحيرة فدفع الكتاب
الى العامل واخبره بما كان من المتلمس فحن عليه لصدقه ودس عليه
من اشار عليه بالهروب فلم ينتصح وجا الى العامل وقال له
الملك قد ثقلت عليك جايزتي وجعلت علي ما امرك به الملك
فقال اما اذا كان الامر كذا فانا اجيزك فاخذه وفعل به ما في
الكتاب وطرفة بن العبد هذا هو احد اصحاب القصايد السبع
المعلقات واول قصيدته المعلقة قوله حيث يقول

لخولة اطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقوفا بها صحبي علي مطيهم   يقولون لا تهلك اسا وتجلد

وقد ضمنت عجز هذا البيت فقلت في مقامة عملتها في الاهرام

لقد

لقد ثبت بالاهرام حول احبتي   جفوني ببرد بايس وتسهد
تقول بها صحبي لبرد جليدها   وهجري لا تهلك اسا وتجلد

ومن قصيدة طرفة المذكور قوله

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا   ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له   بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

ثالثهما اقول عملا على سلامة الوزير وهلاك شانيه بما حكي
عن احمد بن طولون وذلك انه دخل يوما وهو صغير على
ابيه فقال بالباب نحو عشرة صعاليك فلو كتبت لهم بشي فقال ايتني
بدواة فذهب فراى في الدهليز حظية من حظايا ابيه قد
خلا بها خادم فاخذ الدواة ولم يتكلم بشي وخشيت الجارية
ان يسبقها الى طولون فجات اليه وقالت له احمد راودني الساعة
في الدهليز فصدقها وكتب كتابا الى بعض خدمه يامره بقتل
حامل الكتاب من غير مشورة وقال لاحمد اذهب بهذا
الكتاب الى فلان فاخذه ومر على الجارية فقالت الى اين فقال
في حاجة مهمة للامير ولم يعلم بما في الكتاب فقالت انا ارسله اليه
ولي اليك حاجة فدفع اليها الكتاب فدفعته الى الخادم الذي كان
معها وقالت اذهب به وانما قصدت ان يزداد طولون

فلما راه تعجب واستدعى احمد وقال له اصدقني بالذي رايت والا
قتلتك فاخبره بقصة الجارية فطلبها وقال لها اصدقيني
فحدثته بقصة الخادم فقتلها وحظي احمد عنده ونشا على سيرة
حسنة وطلب العلم وسماع الحديث وتنقلت به الاحوال حتى
ولي مصر والشام وكان حكمه من الفرات الى المغرب وصرف على
الجامع المعروف به مائة الف دينار وعشرين الف دينار ورتب
للعلما والفقرا في ارباب البيوت في كل شهر عشرة الاف دينار وللصدقة كل
يوم مائة الف دينار وكانت فيه خلال جميلة الا انه كان سفاكا للدما
ومات في حبسه ثمانية عشر الفا وتوفي في سنة ثمانية وستين ومائتين
وقيل له في المنام ما فعل الله بك قال انما البلا على من ظلم من لا ناصر له الا الله
وما على راس الدنيا اشئم من الحجاب لصاحب الانصاف وقال بعضهم
كنت ارى شيخا يقرا على قبره ثم تركه فسالته فقال ان له علينا بعض العدل
واحببت ان اصله بالقران فراني في المنام وقال لي لا تقرا علي شيا فانه
ما تمر بي اية الا قيل لي اما سمعت هذه الاية وخلف ثلاثة وثلاثين
ولدا منهم سبعة عشر ذكورا ومن العين عشرة الاف الف دينار ومن
المماليك سبعة الاف ومن الغلمان عشرون الفا ومن الخيل سبعة
الاف فرس ومن البغال والحمير ستة الاف راس ومن الجمال عشرة

الاف ومن الدواب الخاصة ثلاثمائة ومن المراكب الحربية مائة مركب
وكان خاصه في كل سنة اربعة الاف الف دينار رابعه اقول
ومثل جواب مومن آل فرعون المتقدم ما اتفق لابن الجوزي رحمه
الله وذلك انه وقع النزاع بين اهل السنة والشيعة ببغداد
في المفاضلة بين ابي بكر وعلي رضي الله عنهما فرضي الكل بما
يجيبه الشيخ ابو الفرج واقاموا شخصا فسالوه عن ذلك وهو
على الكرسي في مجلس وعظه فقال افضلهما من كانت ابنته
تحته ثم نزل في الحال لئلا يراجع في ذلك فقال اهل السنة هو
ابو بكر لان ابنته عايشة كانت تحت النبي صلى الله عليه وسلم
وقالت الشيعة هو علي لان فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم
كانت تحته وهذا من الطف الاجوبة ولو حصل بعد الفكر التام
كان في غاية الحسن فضلا عن البديهة فافهمها وساله
رجل فقال ما لنا نرى الكوز الجديد اذا صب فيه الما ينش ويخرج
منه صوت فما معنى ذلك الصوت فقال يا ولدي ذلك صوت شكواه
فانه يشكو الى برد الما ما لاقاه من حر النار فقال السايل فما لنا نراه
اذا ملاناه لا يبرد فاذا نقص برد فقال الشيخ حتى تعلموا ان الهوى

لا يدخل الا عليها نقص سادسها وانشد في مجلس وعظه

اصبحت الطف من مر النسيم سرى … على الرياض ويكاد الوهم يولمني

من كل معنى لطيف اجتلي قدحا … وكل ناطقة في الكون تطربني

فقام اليه شخص وقصد العبث وقال يا مولانا قولك وكل ناطقة
في الكون تطربني فان كان الناطق حمار فقال الشيخ اقول له اسكت
يا حمار سانهقا وقال ابن في بعض مجالس وعظه ما خلق
الله رئيسا في الخير الا وله مقابل من اهل الشر خلق الله ادم وابليس
والخليل ونمرود وموسى وفرعون ومحمد صلى الله عليه وسلم وابا
وابا جهل وهكذا ابدا فقام اليه سايل فقال بالله انت من يجاريك
فقال لا ادري وهذه كلمة بغدادية معناها ان الذي يجاريني
ليس بشي وساله انسان عن حسين الحلاج فقال ما بال عن
الحلاج الا طايل وقال له انسان تركت الدنيا وحب الرياسة
ما يخرج من قلبي فقال الكاتب عبد ما بقي عليه درهم ومن لطيف
اجوبته ان انسانا ساله كيف نسبت قتل الحسين الى يزيد والحسين
بكربلا ويزيد بدمشق فانشد

سهم اصاب ورامية بذي سلم … من بالعراق لقد ابعدت مرماكا

فسبحان

٨٤

فسبحان من اعطاه سرعة الجواب مع اصابة الصواب ومن غريب
ما حكي عنه انه حسب الكراريس التي كتبها في مدة عمره فكان ما يخص
كل يوم سبعة كراريس وهذا من العجايب التي لا يقبلها العقل وجمعت
برايه الاقلام التي كتب بها العلم والحديث فحصل منها شي كثير
فاوصى ان يغلى الما بعد موته ويسخن بها فغسل وكفن وفاضت

الباب الثالث في بسط الكلام وفي نبذة يسيرة من اخبار الملوك السالفة بمصر وما كان لبعضهم من الاعمال العجيبة

اقول ذكر صاحب كتاب البستان في جامع لتاريخ الزمان
انه كان للترك ملوك يقال لهم الخاقانية وللديلم ملوك يقال
لهم القياصرة وللانباط ملوك يقال لهم النماردة وللعرب ملوك
الكاسانية وللفرس ملوك يقال لهم الاكاسرة وللروم ملوك
يقال لهم القياصرة وللانباط ملوك يقال لهم النماردة وللعرب
ملوك يقال لهم التبابعة وللقبط ملوك يقال لهم الفراعنة
بادوا جميعا وانقرضوا سريعا فنسيت اخبارهم ودرست اثارهم
فلم يبق لهم حديث يروى ولا تاريخ يتلى قال صاعد من طبقات
الامم اهل مصر كانوا اهل ملك عظيم في الدهور الخالية والازمان

السالفة وكانوا اخلاطا من الامم ما بين قبطي و يوناني و عمالقة الا ان
اكثرهم قبطا واكثر من تملك مصر الغربا وصار بعد طوفان نوح بمصر
علما بقروي من العلوم ولاسيما علم الطلسمات والنيرنجيات والكيميا
وطلسماتهم الى الآن باقية لم تتغير وحكمتهم باهرة وعجايبهم
ظاهرة وكانت بمصر خمسة وثمانين كورة في كل كورة رئيس من الكهنة
وهم السحرة وكان الذي يعبد منهم الكواكب السبعة سبع سنين
يسمونه ماهرا والذي يعبدها سبعا واربعين سنة لكل كوكب
سبع سنين يسمونه قاطرا وهذا يقوم الملك اجلالا له ويجلسه
الى جانبه ولا يتصرف الا برايه ويدخل على الملك في صبيحة كل يوم
ومعه سبعة من الكهنة وجماعة من ارباب الصناعات فيقفون
امامه وكل واحد من الكهنة السبعة منفرد بخدمة كوكب لا يتعداه
الى سواه ويسمى بعبد ذلك الكوكب اما عبد الشمس او عبد القمر
او عبد زحل فيقول القاطر لاحدهم اين صاحبك يعني الكوكب الذي
هو متكفل بخدمته فيقول في البرج الفلاني في الدرجة الفلانية
ويسال الاخر كذلك فيجيبه حتى اذا عرف مستقر الكواكب السبعة
قال للملك ينبغي ان تعمل اليوم كذا وكذا وتجامع في وقت كذا وكذا
وتركب

وتركب في وقت كذا وكذا فيقول له جميع ما فيه المصلحة والكاتب بين
يديه يكتب جميع ما يقوله ثم يلتفت الى اهل الصناعات ويامرهم بوضع
ايديهم في الاعمال التي يصلح عملها في الوقت ويورخ جميع ما جرى في ذلك
اليوم في صحيفة فتطوى وتودع في خزاين الملك وكان الملك اذا
عزم على امر يهمهم جمعهم خارج القصر فيصطف لهم الناس في شوارع
المدينة فياتون ركبانا وبين ايديهم الطبول وانواع الملاعب ويدخل
كل واحد منهم باعجوبة فمنهم من يعلو عليه نور كنور الشمس
لا يقدر احد ان ينظر اليه ومنهم من يكون على يديه جوهر احمر
او اصفر او ازرق ومنهم من يكون عليه ثوب منسوج بالذهب
ومنهم من يكون راكبا اسدا متوشحا بحيات عظيمة ومنهم من
يكون عليه قبة من نور كل واحد يصنع ما يدل عليه كوكبه الذي
يخدمه فاذا قص عليهم الملك الامر ضربوا فيه من الامر ما يتفق
وملك مصر سبعة من الكهنة وكانت لهم من الاعمال العجيبة
والامور الغريبة الكاهن الاول اسمه صيلم كان يعمل الاعمال
العجيبة وهو اول من عمل مقياسا لزيادة النيل وعمل بركة من
نحاس عليها عقابان ذكر وانثى وفيها قليل من الماء فاذا كان
اول شهر يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة وتكلموا بكلام

فيصعفوا احد العقابين فان كان الذكر كان الما عاليا وان كان الانثي
كان الما ناقصا فيعتدون لذلك **الكاهن الثاني** اسمه اسامش
من اعماله العجيبة انه عمل ميزانا في هيكل الشمس وكتب علي
الكفة الاولي حقا والاخري باطلا وعمل بجنبها فصوصا فاذا احضر
الظالم والمظلوم اخذ فصين وسما عليهما ما يريد وجعل كل فص منها
في كفة فتثقل كفة المظلوم وترفع كفة الظالم **الكاهن الثالث**
عمل مراة من المعادن السبعة ينظر فيها الي الاقاليم السبعة فيعرف
ما اخصب منها وما اجدب وما حدث فيها من الحوادث وعمل في وسط
المدينة صورة امراة جالسة في حجرها صبي كانها ترضعه فاي امراة
اصابها وجع في جسمها مسحته من جسد تلك المراة فتبرا وهذا
من العجايب **الكاهن الرابع** عمل شجرة من حديد لها اغصان
بخطاطيف اذا تقرب منها ظالم اختطفته تلك الخطاطيف
فلا تفلته حتي يقر بظلمه وعمل صنما من كدان اسود وسماه
عبد زحل يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت في مكانه حتي
ينصف من نفسه ولو اقام سبع سنين **الكاهن الخامس**
عمل شجرة من نحاس فكل وحش يصل اليها لا يستطيع الحركة
حتي يوخذ فشبع الناس في ايامه من لحوم الصيد والوحوش
وعمل

٨٦

علي باب المدينة صنمين عن يمين الباب ويساره فاذا دخل احد من
اهل الخير ضحك الذي عن يمينه او من اهل الشر بكي الذي عن يساره
وقيل غيره عمل ذلك **الكاهن السادس** صنع درهما اذا ابتاع به
صاحبه شيا اشترط ان يزنه له بزنته من النوع الذي يشتريه
فاذا وضع في الميزان ووضع مقابله كل ما وجد من الصنف الذي
يريد شراه لم يعدله ووجد هذا الدرهم في كنوز مصر في ايام بني
اميه **الكاهن السابع** كان يعمل اعمالا عجيبة من جملتها كان يجلس
في السحاب في صورة انسان عظيم واقام مدة ثم غاب عنهم واقاموا
مدة بلا ملك الي ان راوه عند صورة الشمس وهي في الهيكل
فاعلمهم انه لم يعد اليهم بعدها وانهم يملكوا فلانا بعده اقول
علي ذكر السحرة الكهنة السبعة واعمالهم العجيبة **حكي**
الزمخشري في ربيع الابرار انه كان بارض بابل سبع مداين في كل
مدينة اعجوبة **ففي الاولي** صورة تمثال الارض فاذا اقصر بعض
رعية الملك في حمل الخراج خرق انهار بلدهم عليهم في التمثال
فلا يستطيعون سد الخرق حتي يودوا ما عليهم وما لم يسد
في التمثال لم يسد عليهم في ذلك البلد **وفي الثانية** حوض اذا
اراد الملك جمعهم الي طعامه وشرابه اتي كل واحد بما احب

من التراب وجعله في ذلك الحوض فتختلط الاتربة ثم يقف
السلطان ويعقب ولا يطلع لكل انسان في قدمه الا من التراب
الذي جاء به وفي الثالثة طبل اذا ارادوا ان يعلموا حال الغايب
عن اهله قرعوه فان كان حيا صوت الطبل وان كان ميتا لم يسمع
له صوت اقول وعلى ذكر هذا الطبل حكى ابن كثير في البداية
والنهاية ان السلطان يوسف بن ايوب لما استعرض حواصل
المصريين بعد وفاة العاضد وانقراض الدولة العبيدية
الزاعمة بانها فاطمية وجد فيها من الحواصل والامتعة والالات
والملابس والثياب شيا باهرا واسرا طايلا فمن ذلك طبل
اذا ضرب عليه احد خرج منه ريح من دبره فيتفرج مما يجد من القولنج
فاتفق ان بعض الامرا الاكراد اخذه في يده ولم يدر ما شانه
فلما ضرب عليه حبق فالقاه من يده على الارض فكسره
وبطل امره قال ابن خلكان كان عبد المجيد المستنصر الملقب
بالحافظ لدين الله الديلمي كثير المرض بالقولنج فعمل له شبرماه الديلمي
وقيل موسى النصراني طبلا للقولنج وكان في خزاينه ولما ملك
السلطان صلاح الدين ديار مصر كسره وقصته مشهورة واخبرني
حفيظ شبرماه المذكور ان جده ركب الطبل من المعادن السبعة
والكواكب

والكواكب السبعة في اشراقها كل واحد في وقته وكانت خاصيته اذا
ضربه الانسان خرج الريح من مخرجه ولهذه الخاصية كان ينفع القولنج
وفي الرابعة مراة اذا ارادوا ان يعلموا حال الغايب نظروا فيها فابصروه
على اي حالة هو عليها كانهم يشاهدونه حاضرا وفي الخامسة اوزة
من نحاس اذا دخل المدينة غريب صوتت صوتا يسمعه اهل المدينة
وفي السادسة قاضيان من خشب جالسان على الماء ياتي اليهما الخصمان
فيمشي المحق على الماء ويرسب المبطل فيها وفي السابعة شجرة عظيمة
لا تظل الا ساقها فاذا جلس تحتها احد اظلته الى الف رجل فان زادوا
عن الالف شخص زال الظل عن الكل وعادت الشمس عليهم
اقول وبابل التي كان فيها هذه المدن هي بابل العراق وقيل
بارض الكوفة وجاء في تفسير قوله تعالى ببابل هاروت وماروت
ان الملايكة راوا ما يصعد الى السما من اعمال بني ادم الخبيثة في زمن
ادريس عليه السلام فعيروهم بذلك وقالوا ربنا هولا الذين اخترتهم
في الارض يعصونك فقال الله تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت
فيكم مثل ما ركبت فيهم لارتكبتم ما ارتكبوا فقالوا سبحانك ما كان
ينبغي لنا ان نعصيك فقال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم

اهبطها الي الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح
الملايكة واعبدهم فركب الله فيهما الشهوة واهبطهما الي الارض
وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل
بغير حق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا
امسيا ذكروا اسم الله الاعظم ثم صعدا فما مر عليهما الا شهرا
حتى افتتنا جميعا وذلك انه اختصمت اليهما ذات يوم الزهرة
وكانت من اجمل الناس وكانت من اهل فارس وكانت ملكة
فلما راياها اخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت
ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان
تعبدا ما اعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا
الخمر فقالا لا سبيل الي هذه الاشيا فان الله قد نهانا عنها
فانصرفت وعادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي انفسهما
من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت
لهما بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم
واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا وانتشيا ووقعا بالمراة فزنيا بها
فلما فرغا راهما انسان فقتلاه قال الربيع ابن انس وسجدا للصنم
والعياذ

٨٨

والعياذ بالله فمسخ الله الزهرة كوكبا وخير هاروت وماروت بين
عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع فهما
معلقان بشعورهما الي يوم القيامة وقيل معلقون تحت اجنحتهما
وقيل كبلا من افخاذهما الي اصول اقدامهما وقيل جعلا في جب ملان
نارا وقيل منكسان رووسهما يضربان بسياط من حديد روي
ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة
اعينهما مسودة جلودهما ليس بين السنتهما وبين الما الا اربعة
اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما راي ذلك هاله مكانهما فقال لا اله
الا الله فلما سمعا كلامه قالا من انت قال رجل من الناس قالا
من اي امة قال من امة محمد قالا وقد بعث محمد قال نعم قالا الحمد لله
واظهرا البشارة والبشاشة فقال وبما استبشاركما قالا انه نبي الساعة
وقد دنا انقضا عذابنا اقول وكان من اصطلاح ملوك
القبط في النيروز ان ياتي الملك رجل من الليل قد ارصد لما يفعله
ويكون مليح الوجه حسن الثياب طيب الرائحة فيقف على الباب
حتى يصبح فاذا اصبح دخل على الملك بغير اذن ويقف بحيث
يراه الملك فيقول له من اين انت ومن اين اقبلت واين تريد

وما اسمك ولاي شي وردت وما معك فيقول انا المنصور
واسمي المبارك ومن قبل الله اقبلت والملك السعيد اردت
وبالهني والسلامة وردت ومعي السنة الجديدة ثم يجلس
ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة وفيه حنطة وشعير
وجلبان وذرة وحمص وسمسم وارز من كل سبع سنابل وسبع
حبات وقطعة سكر ودينار ودرهم جديدين ويضع الطبق
بين يدي الملك ثم يدخل عليه الهدايا ويكون اول من يدخل
عليه وزيره ثم صاحب الخراج ثم صاحب المعونة ثم الناس
على مراتبهم ثم يقدم للملك رغيف كبير مصنوع من تلك
الحبوب موضوع في سلة فياكل منه ويطعم من حضر ثم يقول هذا
يوم جديد من شهر جديد من عام جديد من زمن جديد يحتاج
ان نجدد فيه ما اخلق الزمان واحق الناس بالفضل والاحسان
الراس لفضله على سائر الاعضاء ثم يخلع على وجوه دولته ويصلهم
ويفرق عليهم ما حمل اليه من الهدايا **خاتمة الباب وسبع**
طرائف المستطابة اولها كان من عادة الفرس في عيدهم ان يرهن
ملكهم برهنة الباب تبركا ويلبس القصب والوشا ويضع على
راسه

75

راسه تاجا فيه صورة الشمس ويكون اول من يدخل عليه الموبذان
بطبق فيه اترجة وقطعة سكر ونبق وسفرجل وتفاح وعناب
وعنقود عنب ابيض وسبع طاقات آس قد زمزم عليها ثم تدخل
الناس على طبقاتهم بمثل ذلك اقول ومن عادة العجم انهم
في اول يوم من سنتهم يجمعون سبع نباتات وياكلونها وهي السكر
والحمص والسمسم والسميد والسنبوسج والسماق والسذاب
ثانيها كان ازدشير وانوشروان يامران باخراج ما في خزائنهما
في المهرجان والنيروز من انواع الملابس والفرش فيفرق في الناس
على قدر مراتبهم ويقولان الملك يستغني عن كسوة الصيف
في الشتاء وعن كسوة الشتاء في الصيف وليس من اخلاقهم ان تخبى
كسوتهم في خزائنهم ويبادرون العامة في فعلهم ثالثها
كتب ملك الهند الى انوشروان من ملك الهند وعظيم ملوك
الشرق وصاحب قصر الذهب وابواب اليواقيت والدر الى اخيه
كسرى انوشروان ملك فارس صاحب التاج والراية المحمودة
السيرة ملك المملكة المتوسطة الاقاليم السبعة انوشروان
واهدى اليه الف من عود يذوب على النار كما يذوب الشمع ويختم

عليه كانجم على الشمع وجامات اليا قوت الاحمر سعته شبرا
مملوا درا وعشرة امنا ند كافور بعد الفستق واكبر وجارية طولها
سبعة اذرع يضرب اشفار عينيها خدها وكان بين عينيها لمعان
البرق مع اتفاق شكلها مقرونة الحاجبين طال لها ضفاير تجرها
وفراشا من جلد الحيات انعم من الحرير واحسن من الوشي وكان
كتابه في لحا الشجر المعروف بالكادي مكتوبا بالذهب الاحمر وهذا
الكادي يكون بارض الهند والصين وابعث وكتب اليه ملك
الصين الى انوشروان من بعض رملك الصين صاحب قصر الدرر
والجوهر الذي يجري في قصره نهران يسقيان العود والكافور الذي
يوجد رايحته على فرسخين الذي تخدمه بنات الف ملك والذي
في مربطه الف فيل ابيض الى اخيه كسرى انوشروان واهدى اليه
فارسا من در منضد عينا الفرس الفارس والفرس من ياقوت احمر
وقايم سيفه من زبرجد منضد بالجوهر وثوب صيني صورة الملك
في ايوانه عليه حلته وتاجه على راسه الخدم بايديهم المزاريب والعود
منسوجة بالذهب وارض الثوب لازورد في سفط من ذهب تحمله
جارية تغيب في شعرها تتلالا جمالا وغير ذلك مما تهديه الملوك
الي

٩٠

الى ان قال ها خامسها قوله تعالى في قصة بلقيس واني مرسلة اليهم
بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون نقل المفسرون في وصف هذه
الهدية اقوالا منها انها كانت خمسماية لبنة من ذهب وخمسماية
لبنة من فضة كل لبنة ماية رطل وتاجا مكللا بالجوهر ومسكا وعنبرا
وحقة فيها درة ثمينة وخرزة جزعية معوجة الثقب وخمسماية
جارية وخمسماية غلام والبستهم لباسا واحدا وقيل البست الغلمان
لبس الجواري والجواري لبس الغلمان وعهدت الى رجل من قومها يقال له المنذ
بن عمرو ذي لب وراي وكتبت معه كتابا فيه نسخة الهدية وقالت
فيه ان كنت نبيا ميز لنا بين الوصيفة والوصايف واخبر بما في الحقة
قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا من غير علاج انس
ولا جن وامرت الغلمان ان يكلموا سليمان بكلام ليشبه كلام النساء
وامرت الجواري ان يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال وقالت
للرسول انظر اليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك
منظره وان رايته هشا لطيفا فاعلم انه نبي مرسل فتفهم قوله ورد
الجواب كما سمعت فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد
مسرعا نحوهم نحو سليمان يخبره الخبر فامر سليمان عليه
السلام ان يضربوا لبنات الذهب والفضة وان يبسطوها من